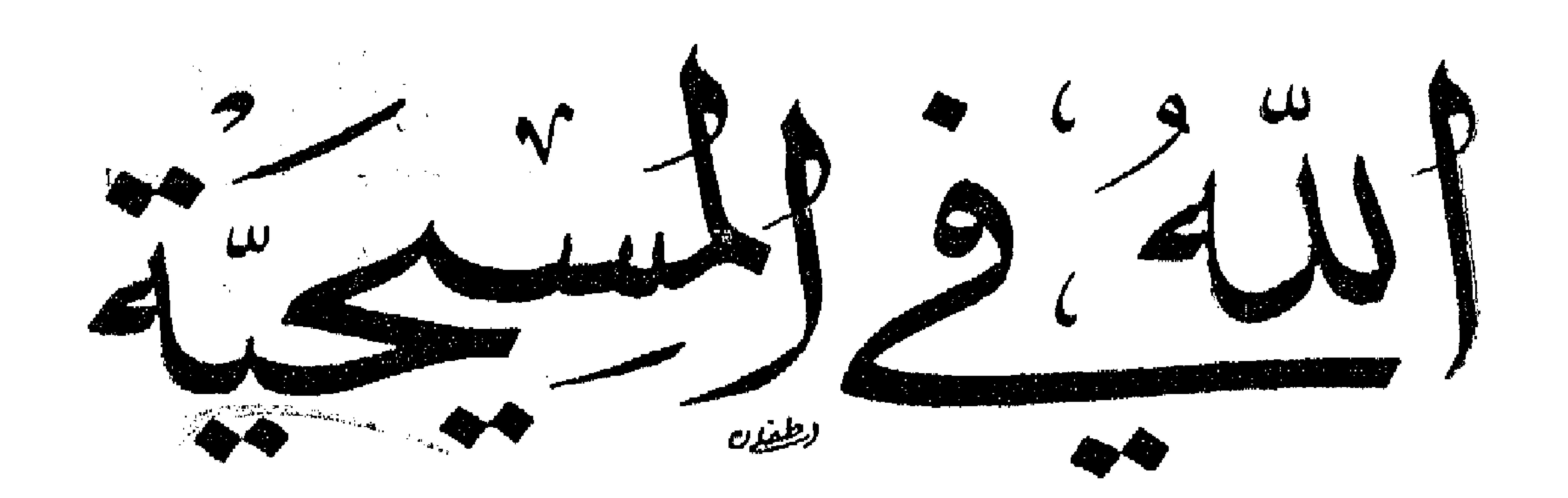


الكتاب المسيحي
الله في المسيحية
لستيفن نيل



■

بقلم الاسقف ستيفن نيل

ونقله الى العربية

الاستاذ ابرهيم مطر



صدر عن :

مكتبة المشعل الانجيلية

بيروت ص . ب . ٢٣٥

الكتاب المسيحي

رقم (١)



تقديم الكتاب

■

قام الباحثون الاخصائيون من رجال الادب المسيحي بجولات في انحاء العالم للوقوف على حاجات القراء ومطالبهم . وقد اجمعت المصادر التي استقوا منها بياناتهم على افتقار شديد الى سلسلة من الكتب المسيحية تعين رجال الدين في المناطق النائية الذين لا تتوافر لهم المكتبات العامة ، وتعين السواد الاعظم من العلمانيين الذين يتوقون الى دراسة المسيحية ورسالتها ومبادئها ، ولا يجدون ضالتهم في الكتب اللاهوتية العلمية التي يعسر عليهم مسايرة إفكارها العميقة ، وتعين المرشدين والمعلمين الذين يتولون شرح الأسفار المقدسة ، وتهذيب الاحداث في مدارس الاحد وانارة اذهان طلاب الحق أينما وجدوا .

صيحات عاليات رنّت في آذان الباحثين الاخصائيين ، تطلب المزيد من الكتب المسيحية النافعة . فكيف يستجيبون الى هذا النداء ويشبعون هذه الحاجة ؟ أيكتبون كتباً لاهل افريقية ، وغيرها لسكان الهند وآسيا ، وغيرها لبلدان الشرق الادنى ، واخرى للاوربيين والامريكيين ؟ . . .

ان العالم اليوم قد تضامّ على ما بين بلدانه من شاسع المسافات . وانك لتسمع اليوم اسئلة حائرة على نمط واحد ، وتكاد تكون في اسلوب واحد ، في طوكيو ، وبومباي ، ودمشق ، والقاهرة ، ولندن ، ونيويورك ، وغيرها من مدائن الدنيا . ذلك لان البشر تجمعهم اليوم

كثير من الحاجات المشتركة ، الادبية والروحية والمادية . ولئن تفاوتت اساليب الحياة ، وتباعدت نظم العيش ، فان نفس الانسان في جوهرها تكاد تكون واحدة .

لذلك قرر « مجلس المرسليات العالمي » أن يكفل اصدار سلسلة من الكتب المسيحية العالمية تحت عنوان : "World Christian Books" وقد وقع الاختيار على زعيم من زعماء المسيحية في الغرب — هو الاسقف « ستيفن نيل » — ليشرف على اصدار هذه السلسلة ، تعاونه طائفة من كبار المفكرين ورجال الدين في مختلف انحاء الارض . ويشترك في هذا المشروع الجليل بالجهد والمال ، مجلس اتحاد الكنائس العالمي ، والمرسليات والكنائس والمجالس المسيحية في امريكا وبريطانيا واوربا واسيا وافريقية . وستعالج هذه السلسلة شتى الموضوعات المسيحية مثل : دراسة الكتاب المقدس — وتطبيق المبادىء المسيحية في الحياة العصرية — وتقوية حياة الخشوع والعبادة — وسير وتراجم زعماء المسيحية في الاجيال المتعاقبة — وتاريخ الكنيسة — ومشاكل العصر مثل : الشيوعية ، والمال ، وحياة الاسرة .

وقد رؤي ان تكتب هذه السلسلة باللغة الانكليزية اولاً ، وان تكون مختصرة موجزة بحيث لا يربو حجم الكتاب على مائة صفحة . وتنقل بعد ذلك الى لغات العالم المختلفة .

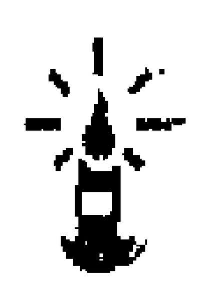
وقد صحّت عزيمة « لجنة التأليف والترجمة والنشر للمجلس المسيحي بالشرق الادنى » على ان تنقل كتب هذه السلسلة الى اللغة العربية تحت عنوان « الكتاب المسيحي » . وها نحن اولاً نقدم لقراء العالم العربي الكتاب الاول من هذه السلسلة « الله في المسيحية » تأليف الاسقف « ستيفن نيل » ، وقد نقله الى العربية الاستاذ ابرهيم مطر ، رئيس تحرير مجلة « النشرة » . وستصدر كتب هذه السلسلة تباعاً . . .

وانا لنرجو صادقين ان تكون هذه السلسلة مشكاة تنير بعض المشاكل التي تحيّر عقول ابناء هذا الشرق ، وتهديهم الى سواء السبيل .

حبيب سعيد

سكرتير ادارة التأليف والترجمة والنشر

للمجلس المسيحي للشرق الادنى



فصول الكتاب

الاول : التمهيد

الثاني : الله حيــاة

الثالث : الله نور

الرابع : الله محبة

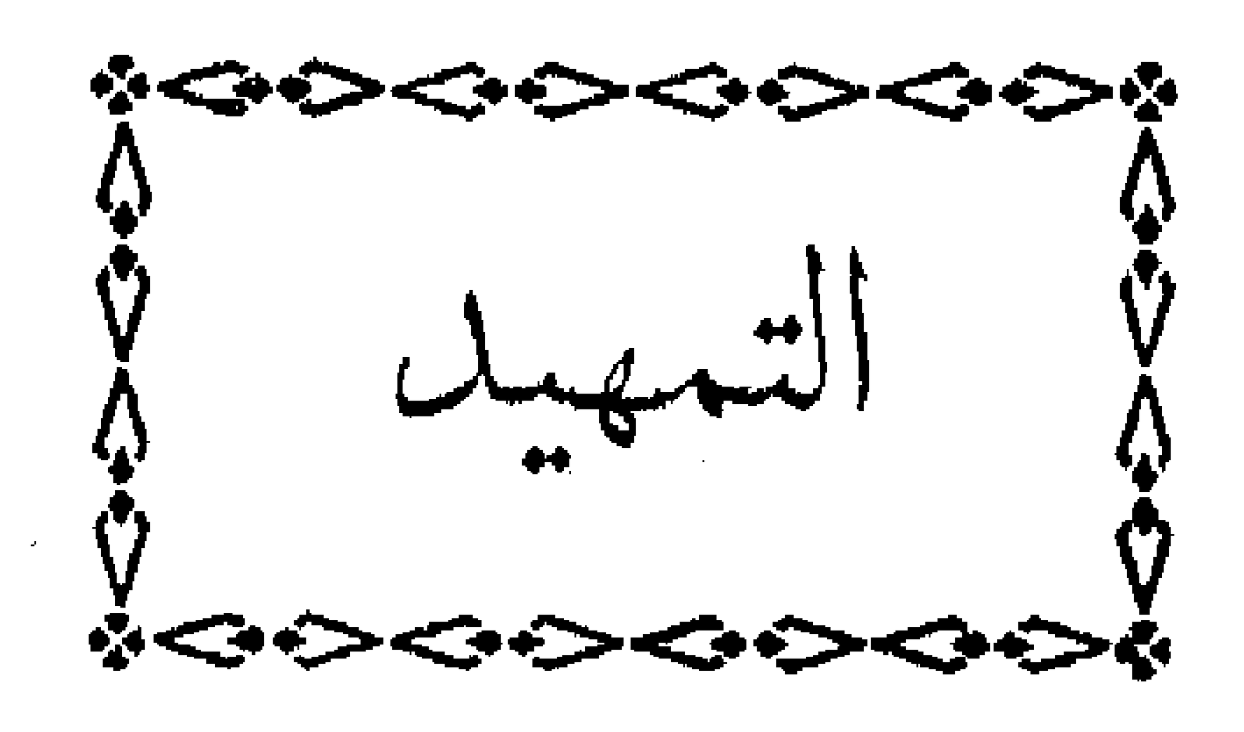
الخامس : الله روح

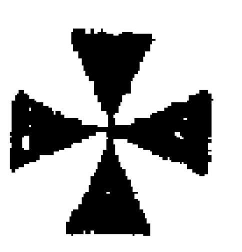
السادس : ثلاثة في واحد
وواحد في ثلاثة

■

وهذا اول كتاب يصدر من سلسلة الكتب المسيحية التي تبنتها لجنة التأليف والترجمة للمجلس المسيحي للشرق الادنى

الفصل الاول





السؤال العظيم : كيف يكون الله ؟

ربما كان هذا اهم سؤال يستطيع الانسان ان يسأله . ولكن ربما يتساءل البعض اولاً : هل يوجد اله ؟ ! وهذا بلا شك سؤال هام وقد نعالجه في جزء لاحق من اجزاء هذه السلسلة . ولكن هل يكفي ان نقول انا اؤمن بشخص موجود هو الله ... فان مجرد الايمان بشيء مثل هذا ، لا يحل المشكلة او يجيب على هذا السؤال العظيم .. اذ ان كل شيء يتوقف على نوع الاله الذي نؤمن به ..

غير خاف ان دنيانا تحفل بالوان من الدين الرديء ، وانه خير للانسان ان يعيش بلا دين من ان يؤمن بدين زائف غير حقيقي . وفي كثير من الاحيان ينزع الناس للتشبه بالاله الذي امنوا به ، فاذا هم آمنوا باله رديء ، ظالم ، شرس وقاس – فلا بدّ لذلك المؤمن ان يتطبّع بهذه الصفات ، ويصبح شبيهاً بالاله الرديء الذي اختاره . وفي

هذه الحالة خير للمرء ان يعيش بلا اله . ومن اجل ذلك يجدر بنا ان نعود الى البحث في هذا السؤال العظيم : كيف يكون الله ؟!

*

واننا لنجد البشر يؤمنون بنوع ما من الالهة . وفي زمن ما شك الكثيرون في هذا، بيد انه عندما اكتشفت مجاهل الارض عُثر على قبائل متعددة من المتوحشين كالذين يعيشون في ادغال افريقيا، وجبال الملايو، وصحارى اوستراليا – وقد خُيّل للبعض انه لا بدّ من العثور ان عاجلاً او آجلاً على جماعة لا تدين باي نوع من الاديان من بين تلك الاقوام البدائية بيد ان هذا لم يحدث مطلقاً ...

ولطالما تحدث المسافرون الجوابون عن عثورهم على اقوام لا دين لهم، غير انه لدى البحث والتدقيق، كان يتبيّن ان هذه الادعاءات خاطئة، اذ ان امثال هذه الاقوام لم تكن لتتحدث عن دينها لاول وهلة مع الغرباء لا سيما مع اولئك الذين لا يتكلمون لغتهم . وفي معظم هذه الحالات تبيّن بعد البحث والتحري ان تلك الاقوام تؤمن بدين ما، وان لها نوعاً من المعتقدات والعبادات التي لها تأثير كبير على حياتهم . وقد وُجد ان بعضاً من هؤلاء الاقوام كانت لهم فكرة عن اله هو فوق كل الناس، واعظم من جميع الارواح . وقد اكّدت لنا الرحلات والاكتشافات الجغرافية، والدراسات الخاصة بالشعوب البدائية انه لا توجد قبيلة او جماعات من البشر مجردة عن الدين اذ لا بدّ لهؤلاء من ان يؤمنوا بنوع ما من انواع الالهة او بلون من الوان الدين .

بعض الاجوبة الخاطئة او الناقصة

وعندما يحاول النـــاس ان يعيشوا بلا اله فانهم لا يجدون ذلك سهلًا . فهذه البوذية بدأت كدين بدون الله . وهنـــاك في بورما وسيلان – حتى الى هذا اليوم جماعات من البوذيين يتمسكون بتعاليم بوذا ، كما اعطاها اياهم خمسة قرون قبل ميلاد المسيح . بيد ان البوذية اصبحت في بلاد التيبت والصين وسواها ديناً لالهة عديدة « ولارباب متنوعين » كما ورد في (١ كور ٨ : ٥) ولقـــد وعد بوذا ان يحرّر الناس عن طريق المعرفة بيد ان هذه المعرفة لا تجدي نفعاً عند الكثيرين اذ هم يشعرون بحاجتهم الى العبادة ولذلك اعيدت بعض الالهة الى حظيرة الدين – ذلك الدين الذي بدأ اولاً بنكران وجود ايّ اله . . .

اننا نرى مثل هذا يحدث في عالمنـــا الحاضر حيث ترك الملايين من النـــاس الدين الذي ترعرعوا عليه ونشأوا في ظلاله ، ولذلك تجدهم يجرأون على التصريح بان لا دين لهم ، بيد انـــه يتبيّن لنا في النهاية انه ليس في وسع الناس ان يعيشوا بلا دين او اي نوع من الايمان . اذ لا بدّ من وجود شيء خارج عنهم يتطلعون اليه ، ويستعدون اذا استدعت الحاجة ان يموتوا من اجله .

*

والغريب ان نفراً منهم اقام من بلاده وامته ديناً له ، فذاك الذي ينتمي الى دولة عظيمة يشعر بانه عظيم . ولا يضيره ان هو مات وظلت امته موجودة ؛ لانه يشعر رغم كونه سيموت – بانه يحيا في حياة امته

وشعبه . ومـا اكثر الشباب في هذا العصر الذين اقدموا على الموت بشجاعة اذ سرّهم ان يموتوا عـلى مثل هذا الايمان الذي ضحوا حياتهم من اجله . . . !

كذلك نجد الشيوعيين يجعلون المستقبل الهاً لهم . فهم يزعمون ان الزمان الحاضر مليء بالمظالم ، والوان القسوة ، بيد ان المستقبل سيظهرهم بانهم كانوا على صواب ، وانه كان لا بدّ من الالتجاء الى مثـل هذه الامور التي التجأوا اليها . واذا ما شكا الناس اليوم الفـاقة والجوع ، فهـذه المساوىء سوف تسوى في المستقبل . . . ولذلك نجدهم يعملون جاهدين من اجل هذا المستقبل واضعين الخطط له ، وعاملين لتحقيقه بولاء يفوق ولاء اكثر المتدينين والمتحمسين الى دينهم .

ويتراءى للمسيحي انه ليس في وسع النـاس ان يعيشوا بلا ايمان وبلا نوع من انواع العبـادة لله . اذ ما هو الانسان ؟! انه من ناحية حيوان وجسم يخضع لنفس القوانين التي تخضع لها اجساد باقي الحيوانات غير ان ما يميّز الانسان عن الحيوان هو مقدرته على الصلاة . . . فجميع الادميين لهم القدرة على الصلاة ، اما الحيوانات ووحوش الغـاب فلا تملك هذه القدرة وليس في وسعها ان تصلي . وهذا اول ما يُذكّرنا به الكتاب المقدس عن الانسان : انه صُنع على صورة الله .

ولا يعني هـذا ان الله له جسم يشبه جسم الانسان انما يعني انه في وسع الانسان ان يكون له شركة مع الله . وبكلمات معلم المسيحية

العظيم القديس اوغسطينس التي نطق بها في القرن الرابع بعد الميلاد :
« يا الهنا قد خلقتنا لك ، وسوف تظل قلوبنا قلقة حتى تجد راحتها فيك » .

وكثيرون من الناس – ويا للاسف – لا يستفيدون من هذه المقدرة للدخول في شركة مع الله ، وذاك الانسان الذي لا يصلي لوحده او بصحبة الجماعة لا يعتبر انساناً كاملاً لانه لم يستعمل اهم العطايا التي لديه ، وحتى يبدأ في استعمال تلك العطية فلا يمكن اعتباره انساناً كاملاً . . .

واذا ما رجعنا الى السؤال الاول وهو : لمن يصلي معظم الناس ؟
ما دام قد ثبت لدينا انهم يصلون . وان معظم الناس يعبدون : فماذا يعبدون يا ترى ؟! واي نوع من الاله يؤمنون به ؟! وكثير من الالهة التي يعبدها الناس اليوم هي اصنام – وليس معنى الصنم الذي يُعبد هو التمثال المصنوع من الخشب او الحجر فقط ففي لغة الكتاب المقدس الصنم هو كل شيء كاذب مثل النقد المزيف فانه بالرغم من تداوله لا قيمة له . واذا اخترع الناس لهم آلهة من قلوبهم وعقولهم وميولهم فتلك الالهة لا بدّ ان تكون اصناماً .

والسؤال كيف نعامل هذه الاصنام ؟ فلا فائدة ترجى من محاولة تحطيمها بالقوة بل الطريق الوحيد للقضاء عليها هو ان نجعلها تواجه الاله

الحي الحقيقي فعندما يتجلى الاله الحقيقي فلا بدّ لهـذا الاله الكاذب او الصنم المعبود ان ينكمش وان يتوارى . . .

اله يُحب

ويعتقد المسيحيون انهم عرفوا الاله الحقيقي . ولكن اذا وجّه احد عبّاد الاصنام لمسيحيٍّ هذا السؤال قائلًا : أخبرني ما نوع الهك الذي تعبده ؟ فقد يتحير المسيحيّ لاول وهلة ولا يعرف ماذا يجيب . . فامامه امور كثيرة يستطيع ان يقولها بيد انه ان كان حكيماً فليبدأ بجوابه قائلًا : ان الله هو شخص يُحب . ذلك ان الوصية الاولى تنص بان يحب الانسان الهه من كل قلبه ونفسه وفكره وقوته . . .

والكتاب المقدس الذي اورد هذه الوصية هو كتاب عملي اذ هو يعنى بحياة الناس كما هي ، وكما يجب ان تكون ، وفيما يستطيع هؤلاء ان يكونوا . وهذه الوصايا الواردة في الكتاب المقدس انما وضعت لكي تطاع . ونظراً لضعف الانسان فانه تعذّر لنا اطاعة مثل هذه الوصية بدون مساعدة الله الذي اوصى بها . ويبدو لنا انه ليس من حقنا ان نتطلّع الى الوصية كفكرة جميلة بل نحن مجبورون لان نطيعها . وعندما يطلب الكتاب المقدس ان نحب الله فمعنى ذلك اننا مخلوقات نستطيع ان نحب ، وان الله بدوره قابل لان يبادلنا هذه المحبة .

فالله يحب الناس ، والناس بدورهم يجب ان يحبوه ، وهذا الحب المتبادل نجده في صميم الايمان المسيحي . وهذه المحبة لها اهمية كبيرة اذا

ما قورنت مع الديانات الاخرى لا سيما تلك الشعوب التي تؤمن بالارواح (Animism) . فاتبـاع ذلك المذهب يؤمنون بوجود ارواح تعيش في الاشجار والانهار والجبال والاماكن الفسيحة الواسعة . وفي معتقدهم ان العالم مليء بالالهة وبالارواح ، ومعظمها من النوع القاسي والضار والشرير . ونرى اتبـاع هذا المعتقد يفرحون اثناء النهار لكن عندما يسدل الظلام اجنحته نجد الخوف يغشاهم فلا يتجاسرون عـلى الخروج في الليـالي الحالكة من دورهم خوفاً من تلك الارواح ، لان سطوتها وقوتها تبدو شديدة في الظلام . ومما لا ريب فيه انه في دين مثل هذا يـكثر الخوف وتنعدم المحبة . . .

*

ولم ينكر الابيكوريون الذين قابلهم الرسول بولس في اثينـا وجود اله . (اعمـال ١٧ : ١٨) بيـد ان هؤلاء تخيلوا ذلك الاله بعيداً عنهم ، يعيش في جو آمن مطمئن ، لا تهب فيه عواصف ولا تنزل عليه ثلوج . ومثل هذه الالهـة تعيش ضمن ابراجها العاجية غير مهتمة بشؤون الناس . والنتيجة اللاحقة هي انـه ان كانت هذه الآلهة لا تهتم بنـا . . . فلماذا نهتم نحن بهم ؟! واذا كانوا هم لا يحبوننا فلماذا نظهر لهم حبنا ؟!

ولطالما شجعت بعض المذاهب في الديانة الهندوكية مبـدأ الولاء والتفاني (Bhakti) . فالعابد يقدم ولاءه لله او لاحد الالهة . بيـد انـه في الهندوكية الحقة لا يبدو الله شخصاً ، يعتني بشعبه او يحبهم ،

لانه شبه الاوقيانوس العظيم يريدهم ان يدمجوا في كيانه ويذوبوا فيه . ومثلما تصبح نقطة الماء المتساقطة في البحر جزءاً منه غير منفصلة عنه ، هكذا يذوب الانسان في كيان ذلك الاله . وهذه رغبتهم ان يذوبوا في ذلك الاله العظيم بحيث تفنى الذات بالكلية فلا يعاد يفرق بين « انا ... وانت » . ومن المحتمل ان يكون بينهما بعض الحب ، لكن لا مجال للمحبة ولا معنى لها في صعيد تذوب فيه الشخصيات وتتلاشى الذاتيات .

وكثيراً ما نظن ان مثل هذه الديانات قد ادركت الحق بجعلها الله يتعالى ، وبتصويره بالقوي الذي وجبت طاعته ، بيد ان ما يتوق اليه المؤمن حقاً هو ان يتناغم مع الله قلباً وقالباً . وهنا يتضح الفرق : فالمسيحي يعرف ان الله يحبه وانه بدوره يحب الله . وها هما العهدان القديم والجديد يشددان على تلك الوصية التي تدعو الى محبة الله بحيث يجعلانها في القرار والصميم . وهذا وايم الحق لا يصدق على باقي الديانات لان المسيحية اذا ما شابهت الديانات الاخرى في بعض الامور ، الا انها تختلف عنها بامور كثيرة ابرزها هذه المحبة المتبادلة .

وما معنى ان نحب الله ؟ !

تقول الوصية : « تحب الرب الملك » وهذا هو عين ما يتعذر على الكثيرين قبوله . ويقول البعض : في وسعي ان اؤمن بالله اذا عرفت ارادته ، وعندئذ ذاك احاول ان اطيعه اطاعة مؤكدة فأنا اخاف الله

انما كيف احب شخصاً لم اره مطلقاً . . . وحقاً انه ليتعذر على النـــاس ان يحبوا الله اذ ان هنـــاك اموراً كثيرة في المسيحية صعبة علينا انما المشكلة هنا ليس ما يتصوره معظم الناس لانهم انمـــا يبدأون بفكرة خاطئة عن المحبـــة ، ولذلك فهم لا يفهمون ماذا يعني الكتاب المقدس عندما يحدثنا عن محبة الله . . .

كثيراً ما نظن ان المحبة هي عاطفة وشعور شبيهان بذلك الاحساس الذي يشعر به البعض عندما يقعون في الحب والغرام ، ولكن ليس هذا هو المعنى المقصود من المحبة في الكتاب المقدس لان المحبة التي يعنيها انما تشمل جميع العلاقات بين الاشخاص . فهي شيء يتعلق بالارادة اكثر منه بالشعور والاحساس .

*

ولنفكر ثانية بوصية الانجيل عن محبة الله . فقد طُلب منـــا ان نحب الله من كل قلوبنا ، وربما تكون كلمة « قلب » هي التي تضللنا لان القلب في معظم اللغـــات الحديثة يصوّر كمركز للعواطف . غير ان هذا لم يكن ما عنـــاه العبرانيون ، اذ انهم استعملوا القلب للدلالة على كل حيـــاة الانسان الداخلية — اعني كل ما يجعل الانسان انساناً ، بعيداً عن ان يكون حجراً او حيواناً . . . وهذه الحيـــاة الداخلية كلها وجب ان تتجه الى الله وتتفتح في حضرته .

والكلمات الثلاث التـــالية تتكلم عن اجزاء منفصلة عن هذه الحياة الداخلية . فقد وجب علينا ان نحبه من كل افكارنا . ولا مراء

فقد أُعطينا عقولاً ، وهذه انما أُعطيت لنا لنستعملها ، فعلينا ان نتعلم عن الله ونفهم ارادته ، لان رأس الحكمة هي مخافة الله . ثم علينا ان نحبه من كل قوتنا ومعنى هذا ان ارادتنا وجب ان تكرّس لخدمته . وكل محبة لا تتجلى في الطاعة والخدمة لا تعتبر محبة حقيقية . « وان شاء احد ان يعمل مشيئته يعرف التعليم » (يوحنا ٧ : ١٧) وربما كانت العبارة من كل نفسك هي التي تشير الى الجزء العاطفي من حياة الانسان .

ولا شك ان العبارتين الاوليين هما المهمتان ، لان الانسان ان كان يحاول بامانة ان يعرف ما يستطيع معرفته عن الله ، ويحاول ان يجسّم ما تعلمه في الطاعة والخدمة فلا بدّ للشعور الديني الحقيقي ان يظهر هذا الشعور فلا مدعاة للقلق . اذا في وسعنا ان نتأكد باننا نقدم لله المحبة والخدمة التي يرغب جلاله في الحصول عليهما . . .

وهل هذا ضرب من الخيال ؟

والسؤال : كيف نعرف ان الله الذي نحاول ان نحبه ونخدمه هو الاله الحقيقي ؟! فربما كان الهنا هذا صورة عن انفسنا . وقد قال احد حكماء الاغريق قديماً : « لو كان للكلاب وللخيل الهة لكانت تلك على شكل الكلاب والخيول » . او ليس ممكناً ان نكون نحن بدورنا قد اخترعنا هذا النوع من الاله الذي نريده ؟! والذي نرغب ان نحبه ؟! وبالتالي أليس الهنا صنماً يُضم الى تلك الطائفة من الاصنام التي تحدثنا عنها سلفاً . . . ؟!

ويهمنا ان نواجه هـذا السؤال الذي اخذ يشيع في هـذه الايام . فمعظم الذين يدعون ان كل الاديان ضرب من الوهم والخيـال انما يفكرون بالطريقة التالية : وهي ان كل دين انما يأتي من داخل النـاس ، فهم يتطلعون الى السماء ويظنون انفسهم انهم يرون الله ، في حين ان ما يرونه ليس الا خيالهم المنعكس عـلى الغمام . وها هم المسيحيون المتـدينون يتحدثون عن الله كآب سماوي . فمن اين جاءوا بهذه الفكرة ؟! أليس في تكوين العائلة يظهر الاب كالشخص المهم الذي يحاول اولاده النظر اليـه من ناحيتين : اما اباً لطيفاً عندما يكون مسروراً منهم ، يقدم لهم العطايا والمآكل – واما اباً غضوباً يرتجف البنون في حضرته . . .

واذا تطلعنا الى الدين من افقه الواسع نجده يمثّل على نطاق ضيق ما تراءى لنا في العائلة . فالصورة الاولى عن الله تمثّل اباً عطوفاً يعطي اولاده مـا يريدون ، لان الاب يهمه ان يكون اولاده سعيدين ومرتاحين ، وقادرين على التغلب على اعدائهم . والصورة الثانية تمثـله اباً غضوباً لا يُسترضى الا عن طريق تقديم العطايا ، ولا يحافظ عـلى مزاجه الا عن طريق التقدمات . . .

لكن الم نخبَر بان الله ليس موجوداً هناك ، وانما الناس هم الذين عكسوا آمالهم ، واظهروا مخاوفهم على استار السحاب كما يعكس

الفانوس السحري الصور على الشاشة البيضاء الموضوعة امامه . فانهم هكذا يجدون في السماء ما وضعوه وعكسوه بانفسهم . . .

ولا يجدينا نفعاً ان نغضب من امثال هؤلاء الذين يحاولون تفسير فكرة الله بمثل هذه الطرق . ففي قولهم كثير من الحق ، لان المسيحيين انفسهم انما لهم افكارهم الخاصة من هذا القبيل . فهي افكار تنبع في داخلهم ، وتنشأ في عقولهم . وهذا ما يفسر قولنا السابق عن وجود : دين ردىء – ودين جيد . وهذا عينه يفسر لنا لماذا يصعب على البعض ان يكونوا مسيحيين حقيقيين . . . ! فهم يبدأون بفكرة عن الله كونوها لانفسهم ، ثم يحاولون ان يجعلوا صورة الله التي اخترعوها ان تنسجم مع صورته الممثلة في الكتاب المقدس . ويشبه عملهم هذا مَن يأخذ صورتين متنوعتين على فلم واحد . ولا مجال عندذاك لان يستغرب البعض انهم لا يعرفوا حقيقة الله .

وان كان ذلك حقيقي بان الناس يميلون لان يخلقوا الله في افكارهم . . فهل يمكننا عند ذاك ان نتأكد بان الله حقيقي ؟ ! فقد يكون كل ذاك اختراع بشري . . . ! وبالتالي فهل هناك شيء نستطيع ان نجزم باننا لم نخترعه بانفسنا ؟ !

الله مثل المسيح

الجواب على هذا السؤال الذي يجابهنا ، هو انه لدينا يسوع المسيح – فنحن لم نخترع المسيح ، اذ انه عاش بيننا وعلّم وتألم ومات

من اجلنا . ومهما كانت فكرتنا تجاهه فان هذا لا يغيّر مطلقاً هذه الوقائع وتلك الاحداث ، اذ تتوفر لدينا امور خارجة عن انفسنا تصلح لان تكون مقياساً صالحاً للتمييز بين مــا هو صادق وكاذب . . . ولدينـــا في المسيح محك نستطيع بواسطته ان نرى الفرق بين الدين الجيد والدين الرديء . . . واننا عندما نحاول ان نعرف الله لا نبدأ بالافكار العامة ، ولا باوهامنا الخاصة ، انما نحن نبدأ بيسوع المسيح . واذا وجّه صديق لنا غير مسيحي هذا السؤال : كيف هو الهكم ؟ فجوابنا يكون انظر الى المسيح فانّك تعرف نوع الهنــا وتحصل على الجواب . . .

*

ولنبدأ بتصريحين من انجيل يوحنا اللذين يوضحان ناحيتي هـــذه المشكلة التي نحن بصددها :

التصريح الاول : « الله لم يره احد قط » (يوحنا ١ : ١٨)

التصريح الثاني : « الذي رآني فقد رأى الاب »

(يوحنا ١٤ : ٩) .

« الله لم يره احد قط » : اجل سيظل الله سراً خفياً على الناس . ومهما عرفنا عنه فهناك امور ستبقى خافية علينا ولا نفهمها . فعقولنا صغيرة تعجز عن ان تستوعب مثل هذه الامور . ولكن لو كان ذلك غير حقيقي فلا يعود الله الهاً ، بل يصبح كاحد منا ، وليس كائناً تليق به العبادة والتمجيد . . .

ولا يجب ان يدهشنا مثل هذا الامر ، فما اقل ما نعرفه عن بقية الناس حولنا ! حتى في حالة المقربين الينـــا فاننا لا نعرف الا الامور السطحية عن حياتهم الخاصة . وفوق كل شيء هل نعرف الكثير عن انفسنا ؟ ! وهل نستطيع معرفة السبب الذي سنحرك به ايدينا استجابة لفكر طرأ في الدماغ . . . فدفعنا لتسطير هذه العلامات السود على الورق ؟ ! انه يتعذر على اكثر الناس علماً ان يعلّلوا انـــا سرّ ذلك واذا كنا نعرف القليـــل عن انفسنا فلماذا ننتظر ان نعرف كل شيء عن الله .

ولكن ان نقول اننا لا نعرف كل شيء عن الله لا يعني اننا لا نقدر ان نعرف شيئاً بالمرة عنه . فنحن لا نعرف اصدقاءنا حق المعرفـــة وان كنا نعرف عنهم بعض الشيء ، وهكذا فنحن لا نستطيع معرفة الله معرفة تامة الا عن طريق يسوع المسيح الذي ارسله .

« الذي رآني فقد رأى الآب » هكذا اجاب المسيح فيلبس عندما سأله هذا : « أرنا الآب وكفانا » . ويبـــدو ان فيلبس كان يسأل عن شيء مستحيل في هذا العـــالم ، اذ لا احد يستطيع ان يرى الله . وكانت نية فيلبس حسنة ، اذ كان قصده التأكد . . بيد ان هذه الرغبة جاءت من ناحية خاطئة . وكأنه اراد ان يقول اذا قدرت ان اراه فعندذاك استطيع ان أومن به . اما المسيح فنجده يعلّم عكس ذلك تماماً اذ يقول : « ان انت آمنت رأيت الاشياء التي تحتاج ان تراها » .

وما اكثر الذين يشبهون فيلبس في هذه الايام اذ يقولون ليتنا نتأكد من هـذه الامور . . . وليت هذه الحقائق تبرهَن . . . ولكن غرب عن بالهم انه لا يمكن ان نبرهن حقيقة الدين بنفس الطريقة التي نبرهن فيها ان مجموع زوايا المثلث تساوي زاويتين قائمتين ، كما انه يتعذّر علينا ان نبرهن ان اصدقاءنا يحبوننا . فنحن نظن انهم يحبوننا ونأمل ذلك . . . لكن اين السبيل للتأكد من كل هذا ؟ !

والغريب ان يسوع لم يعطِ فيلبس ما اراد بل اعطاه شيئاً احسن فقد اخبره ان ما يحتاجه الناس لمعرفة الله انما يوجد في يسوع المسيح نفسه . وسوف نتساءل كيف يكون ذلك مستطاعاً ؟ ! ويكفينا الان ان نعرف انه عن طريق معرفتنا المسيح نستطيع ان نعرف الله ولنتذكر ان هذا هو لباب الايمان المسيحي . . .

هذا وان معرفتنا لشخص ما لا يشبه درسنا امثولة في طوقنا استيعاب موادها في ساعات معدودات . لان هـذه المعرفة تتطلّب وقتاً وصبراً وجهداً وعطفاً . وكل من يرغب في فهم ما يعتقده المسيحيون عن الههم عليه ان يبـدأ بالمسيح . وعلى هؤلاء ان يكرّسوا الوقت ، ويبذلوا الجهود لدراسة الامور التالية :

ما قاله المسيح ... وما عمله ... وماذا كان ... وكيف تألم ... وماذا قال وكتب عنه اصدقاؤه ..

ولا بدّ ان يثير هذا الكتاب بعض الاسئلة في اذهان القراء ويوحي

اليهم ببعض الاجوبة ، ولكن لن يتمّ قصد هذا الكتاب ان لم يرجع القارىء بنفسه الى الاناجيل فيدرسها ويجد منها الجواب على سؤالاته . . .

خطة هذا الكتاب

يستهدف هذا الكتاب لجعل المسيح هو البداية ونقطة الانطلاق . فالمسيح هو المحور — ومنه نتطلع الى ما وراء والى ما هو قدام . والمسيح لم يأتِ الى العالم فجأة اذ مهّد العهد القديم لمجيئه . وكلنا يعرف ان الكتاب المقدس يحوي العهدين القديم والجديد . وكان الله منذ اجيال عديدة يهيء العالم لمجيء المسيح . وما قصة العهد القديم سوى توطئة لذلك المجيء . وما يحويه العهد القديم من الحقائق لا تهمنا كحوادث تاريخية جرت في سالف من الزمن بل هي تهمنا لانها تتضمن حقائق حيّة ، اذ ان الكتاب المقدس هو كتابٌ للحياة . فهو يكلمنا على صفحاته كأنه كُتب البارحة . وهذا الاله الذي يتكلم في العهد القديم هو الاله الذي نؤمن به . . .

ولم يتصرف المسيح متجاهلاً الامور التي حصلت قبل ميلاده فهو يفرُض دائماً ان سامعيه ملمون بحوادث العهد القديم ، وانهم يؤمنون بما جاء فيه . وما اسرع ما اتخذه السيّد له المجد اساساً بنى عليه تعاليمه الخاصة . والعهد القديم مملوء بالمواعيد وقد عرف المسيح انه جاء ليحقق

تلك المواعيد ، لا سيما تلك التي اعلن فيها عن ملكوت الله . ولطالما صرّح يسوع ان فيه قد تمّ هذا الملكوت .

ويجمل بالطالب ان يقبل على دراسة العهد القديم لانه يجد ضمن طياته حقائق وفيرة عن الله ، تبسّط لنا مبادىء ايماننا المدونة في العهد الجديد ، والتي نعتقد انه لا ضرورة لاظهارها مرة ثانية لبداهتها . وانه لجدير بالذكر انه على ضوء نبوّات واساسات العهد القديم يتسنى لنا فهم حياة وتعاليم المسيح .

*

وسوف نستعرض بين الآن والآخر اراء الناس عن الله مستنيرين بالديانات الاخرى . ولما كان الله هو الحق فلسنا نتوقع ان نجد في تلك الديانات حقائق لا نعرفها ، بيد انه عن طريق هذه المقارنات لا بدّ ان تتكوّن في اذهاننا بعض الاسئلة الهامة ، ولا بدّ لافقنا من ان يتسع ... لا سيما وان حاجات الناس في كل العالم واحدة . وجميع الديانات انما تنزع لمعرفة الله وترغب كل الرغبة في ذلك . ولكن لنتأكد ان هذه الرغبات لن تتحقق الا عن طريق المسيح .

وفي وسعنا ان نقول لاصدقائنا من اتباع الديانات الاخرى انكم تسلكون طريقاً خاطئاً ، اذ ظننتم ان الحق هو ليس ما يحرركم . وفي وسعنا ان نقول لفريق آخر منهم انكم تفتشون عن الحقيقة في موضعها الخاطىء اذا انتم لم تفتشوا عنها في المسيح ، لانكم سوف تجدون فيه ما هو اسمى بكثير مما تأملتم ان تجدوا في اي مكان آخر .

ولطالما كُتبت المجلدات عن العقيدة بالله ، فهناك دروب متعددة لبحث هذه القضية . ولما كان هذا الكتاب الذي نقدمه اليكم صغير الحجم كان لا بدّ لنا من اللجوء الى طريقة بسيطة وواضحة في تنظيم المواد واستعراض الحقائق . فالعهد الجديد يقدّم لنا اربع تصريحات بارزة عن الله :

اولا : انّ الله حياة (يوحنا ١٤ : ٦ و ١١ و ٢٥)

ثانياً : انّ الله نور (١ يوحنا ١ : ٥)

ثالثاً : انّ الله محبة (١ يوحنا ٤ : ٨)

رابعاً : انّ الله روح (يوحنا ٤ : ٢٤)

ومنهجنا ان نتخذ هذه الحقائق واحدة تلو الاخرى وان نتلمّس تعاليم الكتاب عن الله ضمن نطاقها . واننا لنأمل انه اثناء هذه الدراسة يتسنىّ لنا استعراض معظم القضايا عن الله — تلك القضايا التي ما برحت تشغل بال الناس وتثير اسئلتهم في هذه الايام .

وهل نحن حقيقة راغبون في معرفة الله ؟

هذا هو السؤال الهام ... واذا نحن نجحنا في محاولتنا هذه فلا بدّ للقارىء ان يصبر ويتحمل مشقة القراءة كي يصل الى آخر هذا الكتاب فيحصل على نتيجة محسوسة اذ يتسنى له ان يكوّن فكرة واضحة عما يعنيه المسيحيون بكلمة الله . وان تكوين فكرة واضحة عن اله المسيحيين ليس معناه الايمان به واسداء الحب اليه . وليتنا نعلم ان

قراءتنا كتاباً عن اله المسيحيين انما يختلف كثيراً عن قرائتنا كتاباً في التاريخ او علم الرياضيات ، لان في معرفة الله تنتصب امامنا مسألة هامة: هي مسألة موت وحياة لا قضية حوادث ومعلومات . وهذا الاله الذي سنقرأ عنه يتطلب منا جواباً ان سلباً او ايجاباً – وانه لفي طوق كل امرىء ان يقول « لا » ان هو اراد . . .

وحقاً فمشكلة الاختيار برزت في زمن المسيح . فعندما جاء المسيح الى دنيانا احبّه البعض حباً دفعهم للموت من اجله والاستشهاد في سبيله ، في حين ان البعض الآخر كرهه وعجّل بطريق القتل على التخلص منه . وهؤلاء بحكمهم عليه انما حكموا على انفسهم . وهذا عين ما يعاد تمثيله في هذه الايام . فكثيرون لا يؤمنون باله المسيحيين معتذرين بانه يتعذر عليهم ذلك . وربما كانت المشكلة التي يواجهونها هي صعوبة اطاعته ، لانهم اذا ما قبلوا هذا الاله ترتب عليهم تغيير الكثير من مناهج حياتهم . . .

وليست المسألة تتعلق بالافكار بل هي مسألة لها مساس بالارادة . واول ما يستطيع الواعظ المسيحي ان يتحدى به سامعيه هو ان يسألهم ان كانوا هم حقيقة يريدون ان يعرفوا الله . . . والذين لا يتأكدون من هذا عليهم الا يستغربوا اذا هم وجدوا مساعيهم قد اخفقت وانها لم تتكلل بالنجاح .

هنـاك حـكاية عن شاب هندي قصد احد الزهاد المتدينين الذين يقضون اوقاتهم على شاطىء النهر المقدس في التأملات . فسأله الشاب : كيف استطيع ان اجد الله ؟ فاجابه المتعبد بالصمت — الا انه ما عتم ان امسك بتلابيه وغطسه في المـاء حتى كاد يغرقه ، وعندما افلته سأله الشاب : لماذا حاولت اغراقي ؟! اجاب الزاهد : انك تفتش عن الله وعندما تشتاق اليه مثلما اشتقت الى الهواء وانت تحت المـاء فعندذاك تجد الله . . .

ولطالما كتب البعض من رجال ونساء عن اختبـاراتهم عندما وجدوا الله ، وعن فرحهم الزائـد عندما عرفوه واحبوه . وكثيراً ما نتساءل ونحن نطالع مثل هذه الكتابات اذا كانت هـذه الاختبارات صحيحة او هي مجرد كلمات معسولة وعبـارات منمّقة ؟! وهـل يستطيع احد ان يعرف الله بمثل هذه الطرق لان الكثيرين لم يحصلوا على مثل هذه الاختبارات . وقد يكون القديسون هم الذين عرفوا الله لانهم اظهروا شوقاً كبيراً اليه . فصاحب المزامير يعبّر عن شوقه بقوله :

يا الله الهي انت اليك ابكر عطشت اليك نفسي يشتاق اليك جسدي في ارض ناشفة ويابسة بلا ماء (مزمور ٦٣ : ١)

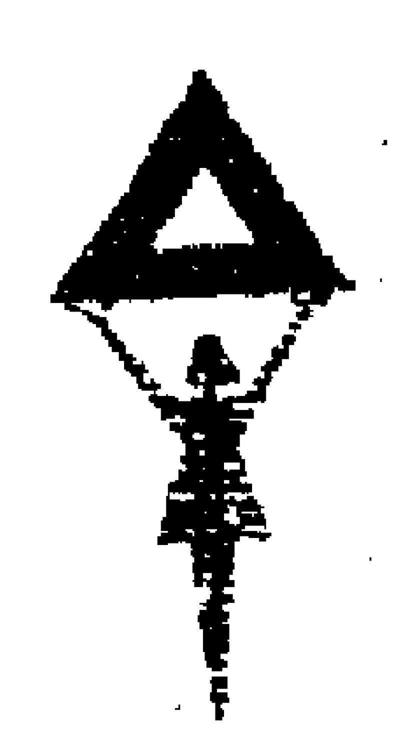
وكما يشتاق الايل الى جداول المياه هذا تشتاق نفسي اليك يا الله . عطشت نفسي الى الله الى الاله الحي . متى اجيء واتراءى قدام الله (مزمور ٤٢ : ١ و ٢)

هو ذا اله يفتش عن الذين يفتشون عنه :

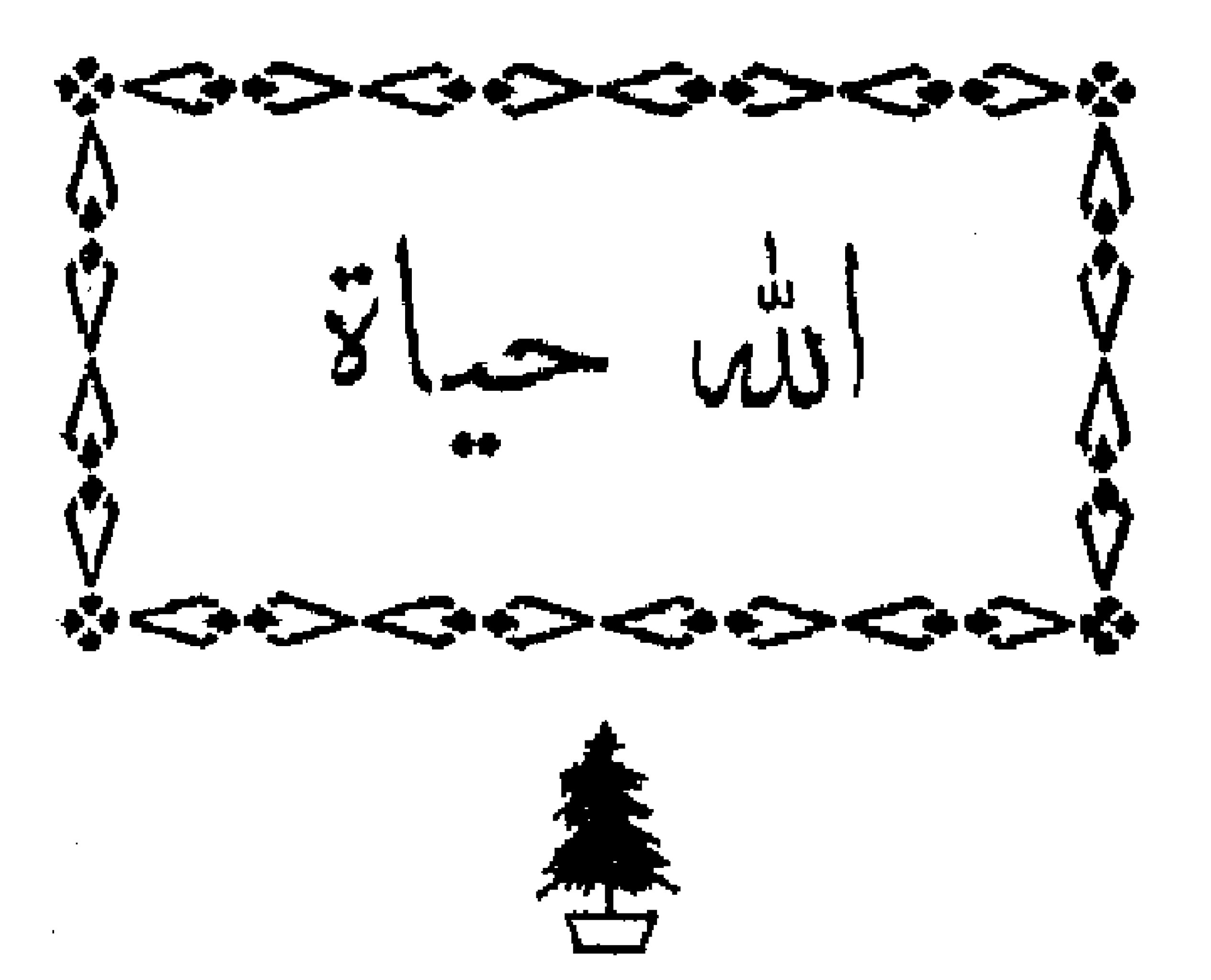
ولا يتسربنّ اليأس الى قلب من ينشد الله باخلاص ، لان الله عندذاك نفسه يتقدم لمساعدته ، وكل من يفتّش عن الله يجد انّ الله لا يتركه ، بل ان العلي يتقدم بدوره للتفتيش عنه . وسوف نجد في دراستنا ان الله كما يمثّله لنا الكتاب المقدس هو اله يفتش عن الناس ، ويتوق لان يظهر ذاته اليهم . واذا ما ثبتت صحة هذا لدينا ، فعندئذٍ تبتهج نفوسنا لانه عن طريق تفتيشنا عن الله وسعينا اليه نستطيع ان نسأله بتواضع وبرجاء ان يساعدنا .

*

● فيا ايها الاله الذي اعددت لمن يحبوك اشياء جيدة تفوق ادراك البشر افض على قلوبنا من محبتك لكي ونحن نحبك اكثر من كل شيء ننال مواعيدك التي تفوق كل ما نرغبه او نصبو اليه ...



الفصل الثاني



الله حياة

اله يأتي ليلاقينا :

كنا قد اقتبسنا في نهاية الفصل السابق آية من المزمور : « عطشت نفسي الى الله الى الاله الحي » . ولا عجب ان كنا نجد الكتاب المقدس يتكلّم عن الله كاله حي ... لانه ما فائدة اله ميت ؟ ! فاذا كان الله موجوداً فلا بدّ ان يكون هو الهاً حياً ... ! وهذه الحقيقة نجدها متجلية في الكتاب بعهديه القديم والجديد . وكلما طالعناه وقلّبنا صفحاته نجد كلام الوحي يظهر هذه الحقيقة ويرينا بان الله هو اله حي ...

وقد احب الكتّاب العبرانيون هذا التعبير بان الله هو اله حي اذ تجلّت لهم من جراء ذلك اشياء هامة : ابرزها ان الله يعمل دائماً ، فهو ليس فكرة خيالية بل ينبوع الحياة في هذا العالم ، مظهراً ذاته عن طريق اعماله . فالله ليس مركزاً للصمت في عالم نتحرك فيه ونعيش في افيائه بل عالمنا ميدان يتطلب منا عملاً ايجابياً وولاء خالصاً لخالقنا ...

وان كنا نجد في الكتاب المقدس آيات تشير الى اوصاف الله الاّ اننا في الوقت ذاته نجد ايضاً تصريحات تشير الى اعمال الله . ففي الكلمات الاولى من الكتاب المقدس نقرأ العبارات التالية : ان الله خلق ... ثم انه رأى فعمل ... وربما اعترض البعض على هذه الطريقة التي فيها نتحدث عن الله باسلوب بشري . وهؤلاء الذين يحبّون الكلمات المستحدثة الغريبة يؤثرون استعمال كلمة "Anthropormorphism" وهذه كلمة مستعارة من اليونانية وتعني (على شكل انسان) وكأنهم في ذلك انما يتحدثون عن الله كأنه انسان . والغريب ان كتّاب العهد القديم لم يجدوا في هذا الاسلوب صعوبة اذ ان صفحات التوراة مملوءة بمثل هذه الانواع من التعابير . وليس هذا بمستغرب ، لانّ الكتّاب انما هم اناس مثلنا وكبشر فهم لا يستطيعون الا التكلّم بلغة البشر ...

واذا كانت رغبة الله ان يعرّفنا بذاته فلا بدّ له من استعمال اصطلاحات او تعابير نستطيع فهمها . ولما كنا كبشر لا نستطيع الفهم بدون استعمال كلمات ، كانت طريقة الله ان يعلّمنا عن نفسه بكلمات بشرية اذ ان هذا اوضح سبيل لنا من اجل الفهم والمعرفة .

*

وقد يؤدي هذا البحث الى فكرتين عميقتين عن الله :

الاولى : انه يخبرنا في سفر التكوين بان الله خلق الانسان على

صورته « وعلى صورة الله خلقه » . ومعنى هـذا ان الله وان كان الهاً ونحن بشر فهو ليس غريباً عنـا اذ نحن نخصه وهو يخصنا ومشيئته هي ان يكون لنا الهاً .

والثانية : لقد علّمنا المسيح ان الله بنفسه جاء الى عالم البشر ، وتجسّد في المسيح ليعيش بيننا كانسان مختبراً حياة النـاس في صميمها . ولو لم يكن الله قد اختصنا لنفسه منـذ البداية لما كان هذا التجسّد مستطاعاً ، ولما كان الله يرضى بان يظهر ذاته لنا بهذا الشكل لو لم يكن يريدنا ان نأتي اليه فعلاً .

واذا نحن لم نكن مستعدين لقبول هذه الطريقة عن الله ساعة نتحدث عنه فاننا عندذاك نشك في مقدرتنا على فهم اي شيء صحيح عن الله . . . وهذا ما تنتهي اليه بعض الديانات الوثنية العظيمة كالديانة الهندوكية . فانك مهما قلت عن الله ، ففي مذهبهم انه ليس كذلك ، او بتعبيرهم الخاص الذي يستعملوه (Neti-Neti) – اي هو ليس هذا او ذاك . . . ومهما نقول عن الله فذاك يختلف كل الاختلاف عما هو ، وليس في وسع احد – حسب زعمهم – ان يورد شيئاً صحيحاً عنه .

وقمين باولئك الذين يسلكون هـذا المسلك ان يتذكروا امراً ورد في الفصل السابق . فقد قلنا انـنا ان كنا لا نعرف كل شيء عن الله فذاك ليس يعني اننا لا نعرف عنه شيئاً مطلقاً . وان كنا لا نستطيع التحدث عنه تحدثاً كاملاً ، فان ذلك لا ينفي قدرتنـا عن التحدث عنه

بالمرة ... واذا تعذّر علينا ان نعبّر عن الحقيقة التامة فليس معنى ذلك ان كل شيء غير حقيقي .

ان مثلنا عندما نتحدث عن الله مثل من يتكلم لغـة اجنبية ، فعندما نلجأ الى لغة غريبة عن لغتنا فلا بدّ لنـا من ان نجد صعوبة في استعمال التعابير الصحيحة التي يستعملها ارباب تلك اللغة ، بيد اننا نجد انه بالرغم من ضعف معارفنا اللغوية وعدم اتقان تعابيرنا فـان اولئك الذين نتحدث اليهم يفهموننا ويدركون ماذا نعني ... ونحن بدورنا نفهم ماذا يقصدون ، ونستطيع التفاهم التام معهم . وفي نفس الطريقة نجد ان الكلمات التي نستعملها انما تقصّر عن وصف عظمة الله ومجده ولكن هذه الكلمات بالرغم من انها محدودة تستطيع ان تخبرنا كثيراً عما هو حق وعما نحتاج الى معرفته ...

اله يعمل

دعونا نعود الى السؤال السابق : لماذا تكلّم العبرانيون عن المسيح كاله حي ؟ ! الجواب انهم يقـارنون الههم الخاص – الاله الحي مع الالهة الكاذبة – تلك الاصنام التي هي الهة للغابات والحجارة . فهذه لا تستطيع عمل شيء وليس في وسعها ان تخلّص انساناً ...

ونسمع النبي اشعياء يتحدى هذه الالهة ويطلب منها عمل شيء . فيقول : « ليقدموها ويخبرونا بما سيعرض . ما هي الاوليات . اخبروا فنجعل عليها قلوبنـا ونعرف آخرتها او اعلمونا المستقبلات » اشعياء

٤١ : ٢٢ . ثم نجد هذا النبي ايضاً يتكلم بغضب عن تلك الالهة التي لا تستطيع الحراك . فيقول : « يستأجرون صائغاً ليصنعها الهاً يخرون ويسجدون . يرفعونه على الكتف . يحملونه ويضعونه في مكانه ليقف . في موضعه لا يبرح . يزعق احد اليه فلا يجيب . من شدته لا يخلِّصه (اشعياء ٤٦ : ٦ — ٧) . فمثل هذا هو شكل الاله الكاذب لان الاله الحي يعمل في كل مكان : ويسمع — ويجيب — ويخلص . . .

*

وتختلف الفكرة التي لدينا عن اله حي عامل عن الفكرة التي كانت عند قدماء الاغريق . فالله عند هؤلاء لم يكن ليعمل شيئاً مطلقاً الا انه كان يجذب كل الاشياء اليه . وعندما تساءل الاغريق : ما هو احسن واسمى شيء يستطيع الانسان عمله اجابوا بلا تردد هو « **الفكر** » ذلك لان الانسان لا يعمل شيئاً الا اذا شعر بالحاجة الى ذلك الشيء . فالكامل لا يحتاج الى شيء يكمّله لذلك كان الههم ليس في حاجة الى العمل . ومن اجل ذلك انتهوا الى الفكرة بان الله هو المفكّر الكامل ، لذلك فالله لا يفكر في عالم غير كامل . ومن اجل ذلك انحصر تفكيره في ذاته . . .

ونجد الفيلسوف ارسطوطاليس الذي عاش في القرن الرابع قبل الميلاد يتحدث عن شخص يدير كل حركة العالم ، ويجذب كل الاشياء اليه كما يجذب المحب جميع الاشياء التي يحبها ويهواها الى شخصه ، انما هذا الاله يشيح بظهره عن العالم . . . ولكن لما كانت كل الاشياء

تنشد ما هو اعلى واسمى منها انجذبت كلهـا اليه ، غير ان مثل هذا الالـه الذي هو بعيـد عن عالمه لا يقـدر ان يسمع – ويجيب – ويخلص ...

وفي هذا اختلف العبرانيون والاغريق فقد قـال الاغريق : « العمل هو علامة غير الكامل ، لانه كلما كثر كمالنا قلّ عملنا . » في حين ان العبرانيين قالوا : « كل الحياة تتمثّل في العمل ، وكلما دنت الحياة من مراتب كمالها كلما كثرت افعالها وتكاملت . » والعمل الحقيقي الكامل انمـا هو عمل الله . وفي وسعنا ان نتعلم الكثير من الاغريق عن الله بيد ان عقيدتنا الحقيقية عن الله ننشدها من العبرانيين اذ في وسعنا ان نأخذها ممـا علمهم الله به عن نفسه ، وما هو وارد في كلام الوحي في العهدين القديم والجديد .

معنى الخليقة

واول عمل الهي يخبرنا الكتاب المقدس عنه هو الخليقـة . « في البدء خلق الله السماوات والارض » (تكوين ١ : ١) . وهذا شيء لا نستطيع فهمه بالمرة ، حتى ان البسطاء يتساءلون : من اين جاءت الدنيا ؟ ولكي يجدوا جواباً لهذا السؤال يقولون لا بدّ لها من صانع . ولكن كلمة صنع لا توازي كلمة خلق . فالنجار يصنع المائدة – اما الخشب الذي صُنعت المائدة منه فموجود من قبل ان يوجد النجار ، وما كان عمل الصانع سوى ان يصنع الخشب في شكل جديد ...

وانه يعوزنا الاختبار لمعرفة كيف يتسنى عمل الاشياء من لا شيء ، ولكن هذا هو عين ما تعنيه الخليقة . فقولنا بان الله خلق العالم يعني ان هـذا الخالق كان مرة الهاً ولا شيء آخر ، فقد وُجد هذا الاله ووُجد العالم معه .

واننا لا نفهم سرّ الخليقة لاننا لم نخلق شيئاً بانفسنا . ولكننا في بعض الاوقات نستطيع تفهم هذا السرّ عندما نتمثل مبدع الانغام والالحان . فاذا تساءلنا : اين كان النغم قبل ان يبدعه الموسيقار ؟! فقد وُجد الهواء والدماغ والشفاه وربما وجدت ايضاً تلك العلامات السود التي تُستعمل على الورق ، لكن عندما صنع الملّحن هذه الانغام فاذا هو اتى بشيء جديد لم يكن موجوداً من ذي قبل . واذا تساءلنا متى كان الناس اسعد حالاً ؟ جاءهم الجواب بانهم اسعد حالاً عندما يقتربون من مراتب الخلق . وربما كان الخلق جزءاً من سعادة الله ذاته . فان كان هذا صحيحاً نكون قد توصلنا الى جواب لهذا السؤال : لماذا صنع الله العالم ؟!

*

وسوف نفهم كمسيحيين لماذا وجب علينا ان نتمسك بفكرة الخليقة . لا سيما اذا اخذنا بعين الاعتبار النظرات الاخرى التي اتخذتها الشعوب عن تكوين هذا العالم . فاليونان بالرغم من حذقهم وعمق افكارهم لم يتوصلوا الى فكرة الخليقة ، بل اعتادوا ان يفكروا

بان المادة كانت دائماً موجودة ، ولم يكن ثمة عمل لله سوى اعطاء هذه المادة الشكل المطلوب . ولكن هذا يتركنا نخرج بالهين اثنين لا باله واحد .

وهناك كما لا يخفى بعض الاديان كديانة الفرس ترتكز على وجود الهين يعيشان في حالة عدواة مستمرة . وتزعم ديانات اخرى ان الله عمل العالم من اجزاء ذاته . وغيرها تدعي بان كل العالم هو الله او جزء منه . وهكذا ففي وسع الهندي ان يقول « انا الله » ولا يعني هذا انه كل الاله الموجود ولكنه ككائن موجود هو جزء من ذلك الاله الذي هو كل الوجود . اما المسيحي فيقول ان كل الاشياء تعتمد على الله ، ولكنه لا يقول بان كل شيء هو الله .

ويحاول مذهب وحدة الوجود المعروف بالپانثيزم (Pantheism) ان يمحو الفرق بين الصالح والطالح في حين ان الشيء الواضح والاكيد هو وجود هذا النزاع المحتدم في قلب الانسان بين قوات الخير واعوان الشر . . . ولكن هل نعتبر الشرّ قسماً من الله وموازياً لقوى الخير ؟!

وعندما نقول ان الله في البدء صنع العالم فلا نعني بانه عملها ثم تركها . وما اكثر الذين تخيّلوا الله كشخص يملأ زنبرك الساعة ثم يتركها لتدور من تلقاء نفسها ، فانه بهذا قد يضمن ان تدور ساعته لعدد من الايام فقط . . . ولكن الكتاب المقدس يخبرنا بان الله عندما صنع العالم تطلّع اليه ، فوجد ان كل ما صنعه كان حسناً .

واذا كان الشر قد تسرّب الى عالمنا فلا يلغي ذلك كون الله اله خير يهتم بعالمه ويحبه . . . ويقول المسيح : « ابي يعمل حتى الان وانا اعمل . » (يوحنا ٥ : ١٧) فالله يعمل دوماً في عالمه ، وانه عن طريق عنايته بهذا العالم استطاع عالمنا ان يظل قائماً وموجوداً . « لاننا به نحيا ونتحرك ونوجد » (اعمال ١٧ : ٢٨) .

الله القادر على كل شيء

ان الله يعمل في العالم وهو يسيطر عليه ، ولا شيء فيه فوق قدرته . وقولنا ان الله قادر على كل شيء لا يعني ان هناك شيئاً لا يقدر الله على عمله . فالله يقدر ان يعمل كل شيء مستطاع لا سيما مما صنعه هو في هذا العالم . فهو يستطيع ان يصنع الشر ، ولكن هذا الاله لا يريد شيئاً شريراً في عالمه ، او هو لا يريد شيئاً مخالفاً لما صنع . . . وكثيراً ما يتحذلق البعض بأسئلتهم كقولهم : هل يستطيع الله عمل شيء اكبر او اصغر مما هو ؟! وهل في وسعه ان يصنع قطعة من القماش تكون سوداء وبيضاء في آن واحد ؟! ومن اليسير خلق امثال هذه الاسئلة السخيفة والتفوّه بمثل هذه الكلمات بدون تفقّه معانيها بالتمام . . .

وتشبه هذه الاسئلة السؤال السخيف الذي يوجه لرجل لا امرأة له حيث يستوضحونه فيه عن سبب ضربه زوجته ؟! وعندما نقول ان الله قادر على كل شيء فمعنى ذلك ان الله يستطيع عمل ما يريده ،

وكلّ ما يحتاج اليه العالم الذي صنعه . ولا نعجب ففي وسع الله ان يصنع عالماً آخر تحكمه نواميس مغايرة لعالمنا فيه يجعل محيط الدائرة يوازي ثلاثة اضعاف قطرها ، ولكن هذا لا يكون في عالمنا الحاضر حيث كانت النسبة بين المحيط والقطر نسبة ثابتة يعبّر عنها الرياضيون بحرف ط .

وربّ متسائل يقول : اذا كان الله حقيقة يحكم العالم فلماذا يسمح للزلازل والفيضانات والاوبئة او كوارث مثل هذه ان تحل بعالمنا ؟! ولطالما تكرر سماع مثل هذا السؤال : ان كان الله قادراً فلماذا لا يوقف مثل هذه الكوارث ؟! اذن فهو ليس بالاله الخيّر . . . بيد ان هذا السؤال قد صيغ في قالب مغلوط ، اذ الأولى ان يقال لماذا اختار الله ان يصنع عالماً فيه مخاطر . . . وفيه يتعرض الناس للموت ؟!

*

ولا مراء فعالمنا معرّض لان يبرد تدريجياً ، وان تتقلص قشرته وتنكمش ، ويخشى ايضاً ان يأتي يوم تثور فيه تلك النيران المتأججة والمحبوسة في جوفه فتوقع بعالمنا اضراراً شديدة . وهذا يبدو انه كلما نجونا من خطر ، فلا بدّ من ان ينتصب امامنا خطر آخر . واذا ما استطاع عالمنا التغلب على معظم الامراض ، افلا يخشى النتيجة المحتمة وهي زيادة السكان الذين لا يستطيع توفير الغذاء لهم . . . !

فاذا كان الله قد صنع العـالم بما فيه هذا القدر من المخلوقات البشرية فلا بدّ ان يكون له غرض من وراء ذلك ، وهو يشاء ان يتحقق ذلك الغرض في عالم تكون الحياة فيه قصيرة الامد ، ومعرّضة للمخاطر . ولا بدّ ان تكون هناك بعض الدروس التي نستطيع ان نتعلّمها من حياة الالم والمخاطر .

ولسوف نستعرض غرض الله النهـائي في فصل آخر من هذا الكتاب ، انمـا يكفي الآن ان نتذكر بان الانجيل يعلمنا بان الله لا يسمح لنا ان نتألم بدون ان يعمل لنا شيئاً . وها هو يظهر لنا مشيئته الصالحة في حيـاة المسيح ساعة يتقدم لمشاركتنا في هذه الالام ، ويساعدنا على احتمالها . فالله عن طريق حيـاة المسيح يرينا الغاية من هذه الالام ... ولماذا هو اوجدها ؟!

لماذا صُنع العالم ؟!

لقد صُنع العالم لغاية ... واذا صحّ هذا فالتاريخ البشري كله له معنى اذ انه متعلق بهذه الغاية السامية . وفي هذا يظهر الفرق بين الدين المسيحي وباقي الاديان . ففي عالم الزمن الذي تتم فيه الامور يكون عالماً غير حقيقي ، وما يحصل فيه ليس له معنى نهائي . هكذا يراه الهنود وهم يعبّرون عنه بكلمة "Mayo" اي غير حقيقي . فهو شبه ذلك السراب الذي يتكوّن في الصحاري او شبه تلك القـلاع والمدن العجيبة التي ترتسم فوق السحاب ... وها نحن عندما غدونا

تمتطي الفضاء اصبحنا نرى السماء اقرب منــالاً مما رآها اجدادنا .
فهي وايم الحق جميلة ورائعــة ولكنها لا تعدو اكثر من سراب
وخيال لا تدوم روعتها اكثر من دقائق محدودة . هذه هي نظرة
التاريخ لدى الهنود .

*

واذا تقدمنا الى الاغريق فاننا نجد تفكيرهم يختلف ، ونظراتهم
مغايرة لما هي عند الهنود اذ ان مفكريهم يعتقدون ان كل الامور
تدور في دائرة كبيرة تنتهي في النهاية الى ذات النقطة التي ابتدأوا
منها . فالكون سوف يحترق وبعد ذلك يعود فيبنى ثانية . وكل ما
في الحياة يبدأ وينشأ على ذات الطراز والمنهاج كالذي سبقه ، وانه
يظل مستمراً في ذلك الى ما لا نهاية . اما المسيحي فتختلف نظراته
عما عنــد الهنود والاغريق اذ ان غرض الله في التاريخ هو ليس
كدائرة مفرّغة — بل كطريق ينتهي الى هدف ويؤدي غايته . ويبرز
المسيح في وسط هذا الطريق المكوّن من خيوط الزمن واحداث
التاريخ حيث ينفرد بحياته المثالية وموته الفدائي وقيامته العجيبة .

اجل هذا ما يعطي التــاريخ معنى ويجعل له قيمة . ومن اجل
هذا كان كثير مما ورد في الكتاب المقدس جزءاً من التــاريخ
الخالد . وان كل ما جاء قديماً انمــا استهدف ليعدّ العالم لميلاد رب
المجد . . . وتتراءى لنا الخطة المرسومة رويداً رويداً ، فتبدأ اولاً
باختيــار شعب مختار ، ثم تقتصر على قسم من ذلك الشعب الى ان

يصل الاختيار النهائي الى شخص المسيح ، حيث تصبح هذه الشخصية الفريدة موضوع خطة الله التي فيها ينحصر غرضه لهذا العـالم . ثم نجد خطة الله تتسع وتتغير بعد قيامة المسيح ، فتشمل تلك الزمرة من التلاميذ الاوفيـاء الذين اصطفاهم السيد . وسوف تظل هذه الدائرة في الاتساع الى ان يتم انتشار بشرى الانجيـل بين شعوب الارض قاطبـة بحيث تجلب كل انسان الى خطة الله الازلية ، وواجب كل فرد وكنيسة ان تُسمع صوت هذا الانجيل الى من لم يسمعه بعد .

*

ويبدو ان هذا العالم الذي له بداية لا بدّ ان يكون له نهاية ايضاً ، لان خطة الله الصحيحة المستقيمة لا تستمر بدون ان تنتهي الى شيء ما . وهل لدينـا فكرة عن نوع الهدف الذي اليه تنتهي تلك الخطة ؟ ! ان الكتاب المقدس في مستهل كلماتـه يقول : « في البدء خلق الله السماوات والارض » ومعنى السماوات والارض الاشياء التي صنعها الله والتي ستدوم طويلاً ، ولكنها لا تبقى الى منتهى الاجيال اذ لا بدّ لها في النهاية ان تزول ولا توجد فيما بعد . « السماء والارض تزولان ولكن كلامي لا يزول » (متى ٢٤ : ٣٥) وفي رسالة بطرس الثانية لنا صورة مثيرة عن النهـاية . اذ يأتي يوم الرب فيها كلص في الليل « الذي فيه تزول السماوات بضجيج وتنحل

العناصر محترقة وتحترق الارض والمصنوعات التي فيها » (٢ بطرس ٣ : ١٠) . وبعد ذلك « بحسب وعده ننتظر سماوات جديدة وارضاً جديدة يسكن فيها البرّ » (٢ بطرس ٣ : ١٣) .

الحياة الجديدة عن طريق الايمان بالله

ولكن ان كانت النهاية هي احتراق هذا الكون وتلاشيه فسؤالنا اذاً : لماذا صنع الله هذا الكون ؟! اننا نعرف باننا سنموت يوماً ما ولكن هل هذه هي نهاية كل شيء ؟! وان كان هذا صحيحاً فالحياة شيء مؤسف للغاية . . . مما يجعلنا نردد مع الحكيم الكلمات التي وردت في سفر الجامعة عندما قال : « فغبطت انا الاموات الذين قد ماتوا منذ زمان اكثر من الاحياء الذين هم عائشون بعد . وخير من كليهما الذي لم يولد بعد الذي لم يرَ العمل الرديء الذي عُمل تحت الشمس » (سفر الجامعة ٤ : ٢ – ٣) فكل ما يمكن تدميره في هذا العالم فليدمّر ، لكن هل في الوجود ما لا يدمّر ؟! ويجيب الكتاب المقدس يقيناً بان هناك اشياء خالدة ولا تزول . . .

اننا في هذا الفصل انما نروم ان ندرس الله كحياة ، والله هو المعطي الحياة . وفي بداية قصة التكوين ترتسم صورة الله وهو يودع نسمة الحياة بنفخة في انف الانسان حتى غدا ذلك الكائن مخلوقاً حياً . ولكن ما ورد في سفر التكوين (٢ : ٧) انما يشير الى

الحياة الطبيعية التي فيهـا نحن نشترك مع باقي الحيوانات ، وهذا لا يجيب على سؤالنا او يحل لنا مشكلتنا ، انما يعود الكتاب المقدس فيتحدث عن حياة اخرى لا يصيبها موت الجسد لانها عطية من عند الله. وقد قال المسيح : « انا قد اتيت لتكون لهم حياة وليكون لهم افضل » (يوحنا ١٠ : ١٠) والوعد ان كل من يؤمن بـه لا يهلك بل تكون له حياة ابدية (يوحنا ٣ : ١٦) .

*

وغني عن البيان ان كل الحياة الطبيعية ، سواء في الحيوان ام الانسان ، انما تنتهي بالموت ، بيد ان الحياة الثانية تلغي حكم الموت وتحرّر الناس منها . « لان اجرة الخطية هي موت واما هبة الله فهي حياة ابدية بالمسيح يسوع ربنا » (رومية ٦ : ٢٣) ويشار دائماً الى هذه الحياة بانها عطية من الله . فهي ليست ملك كل انسان بمجرد كونه انساناً حياً باعتبار انها جزء خالد بطبيعته . وهذا كان اعتقاد قدماء اليونان وكثيرين غيرهم من ابناء ذلك العصر . انما هذا ليس ما يعنيه الكتاب المقدس عن الحياة الابدية . لان هذه الحيـاة انما تعتمد عـلى الارادة وعلى الصلة الواعيـة مع الله . فالله لا يموت واولئك الذين هم في صلة دائمة معه لا يقدرون ان يموتوا ايضاً . .

وما دام التيار الكهربائي يسري في الاسلاك فالمصباح يضيء ، بيد انه في اللحظة التي ينقطع فيها ذلك التيـار يخبو النور وينطفىء المصباح . وهذه الحياة هي عطية من الله ولا غناء لنا عنها . وعن

طريق قبولنا هذه العطية نستطيع ان نتخذ وضعنا الحقيقي . ولا يخفى انه عندما تبدأ حيــاة الله تشيع في كياننا وتسيطر على نفوسنا فعندذاك لا نموت ابداً . وموت الجسم الذي يبدو في حياتنا انما هو بدء الانتقال الى حياة ثانية . وهو تغيير يطرأ على كياننا يعتقنا من قيود المادة . وفيما عدا ذلك فالموت ليس امراً مهماً .

وهذه الحياة الجديدة لا تأتينا بعد الموت لانها أُعطيت لنـا عن طريق ايماننا بالرب يسوع المسيح . وفي وسعنا ان نحظى بها ونحن على قيد الحياة . « وهذه هي الشهادة ان الله اعطانا حيــاة ابدية وهذه الحياة هي في ابنه من له الابن فله الحياة ، ومن ليس له ابن الله فليست له الحياة » . (١ يوحنا ٣ : ١١ – ١٢) وتسلّم هذا الانسان من الله عطيتين :

الاولى : الحياة الطبيعية التي فيها نشترك مع الحيوانات وباقي المخلوقات .

والثانية : الحياة الابدية التي فيها نشترك مع باقي الناس الذين حصلوا عليها عن طريق المسيح .

لماذا صنع الله العالم ؟

والآن يصبح في مقدورنا ان نجيب عــلى هذا السؤال الهام : لماذا صنع الله العالم ؟ ان الله صنع هذا العــالم لانه يجب ان يتمتع

بصلة دائمة مع الارواح الانسانية الذين اختاروا ان يحبوه وان يخدموه — ولكن ليس هذا هو غرض الله الوحيد في العالم . وعندما نفكر في عظمة هذا الكون ، وروعة هذا الوجود الذي صنعه الله لا بدّ ان يتبادر الى ذهننا ان لله مئات الاغراض والمقاصد التي لا نعرف عنها شيئاً ، بيد اننا نستطيع ببصيرتنا المحدودة ان نرى غرضاً واحداً ما برح الله يعمل على تحقيقه في عالمنا . فهو قد خلق الناس ومنحهم الحرية وهو يدعوهم بل يأمرهم بان يختاروا ! فهو يدربهم ويمرّنهم بواسطة افراح الحياة ومخاطرها لانه يريد ان يعدّهم لعالمه الازلي وللحياة الابدية . واخيراً نسمعه يقول لهم : « تعالوا يا مباركي ابي رثوا الملكوت المعدّ لكم منذ تأسيس العالم » . (متى ٢٥ : ٣٤) .

*

وعندما يحاول المشتغلون في المعادن ان يصبّوا المعدن المصهور نجد العامل منهم يفكر اولاً بصنع القالب الذي يستطيع ان يعطي الشكل المطلوب للمادة المصهورة . وعندما يتم السكب وينتهي العمل يطرح العامل القالب جانباً او يحطمه . وهكذا فالعالم الذي نراه ونعيش فيه لا بدّ له من ان يصل يوماً ما الى نهايته ، ولكن ما تلك الارواح الانسانية التي اختيرت لتحب وتخدم الله والتي اعدّت حياتها في هذا العالم لحياة ثانية فلن تموت . « ان حياتهم مستترة مع

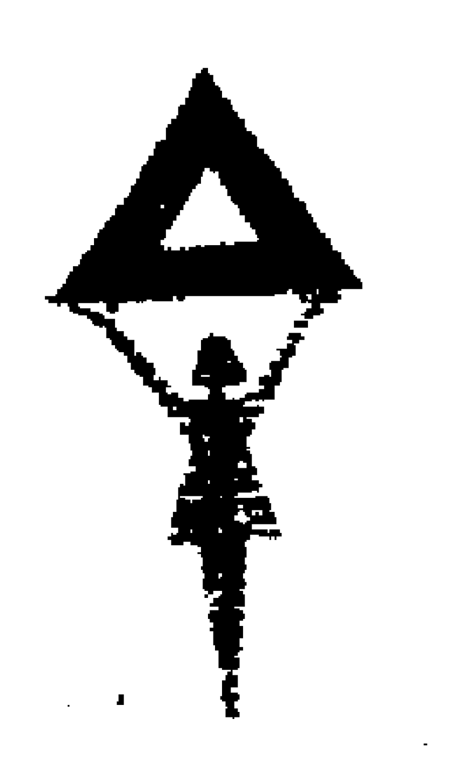
المسيح في الله » (كولوسي ٣ : ٣) ... ولانه حي فهم سيحيون ايضاً ...

وقد يكون لكلمة « ماذا » معنيان . ونحن قد حاولنا ان نجيب على السؤال : لاي غرض صنع الله العالم ؟ ولكن في وسعنا ان نسأل : لماذا صنع الله العالم ؟ او بعبارة اخرى من وضع الفكرة فيه ؟! ولماذا نفكر ان شركة الارواح البشرية الحرة ذات قيمة عنده حتى يبذل كل هذا المجهود والعناء ليربح الانسان اليه ... واذا صحّت فكرة الاغريق عن الله فعندذاك يتعذر علينا ايجاد جواب لهذا السؤال لان الهاً مثلما تصوره فلاسفة الاغريق القدماء لا يحتاج الى شيء ، ولا يخطر على باله قطّ ان يخلق شيئاً خارجاً عن ذاته ...

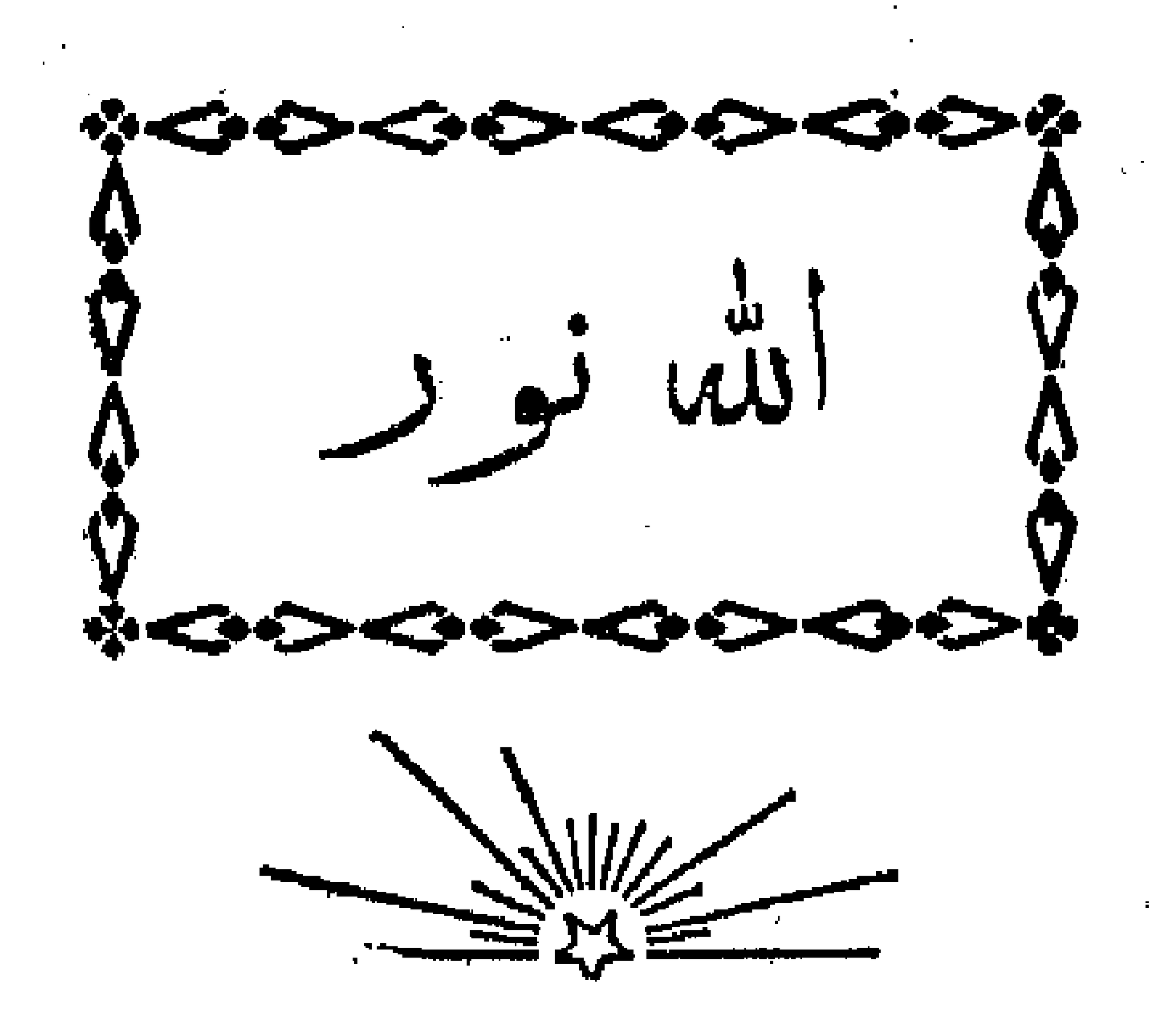
*

اما المسيحيون فتأكدون بان هناك جواباً لهذا السؤال حتى اذا لم يتضح هذا الجواب لهم بسهولة . فنحن ندرك اننا لا نستطيع ان نجيب على كل الاسئلة في وقت واحد . ولذلك كان من الضروري ان نتريث قليلاً لنفهم الايمان المسيحي الذي يرينا ان الله محبة عندذاك نستطيع ان ندرك ان الله يرغب في وجود مخلوقات بشرية

ليحبهم ، كما انه بدوره يتوق ايضاً لان يحصل عــلى محبة هؤلاء البشر ... واذا صح هذا فعندذاك ندرك معنى تلك الوصية العظمى التي نطق بها رب المجد عندما قال : « **تحب الرب الهك من كل قلبك ...** »



الفصل الثالث



اله يظهر ذاته

والكلمة العظيمة الثانية من كلام الله المدونة في الكتاب المقدس هي : **ان الله نور وليس فيه ظلمة البتة** (١ يوحنا ١ : ٥) واننا نذكر ان اول كلمة نطق بها الله ودُونت في الكتاب المقدس كانت « **ليكن نور** » (تكوين ١ : ٣) ويتنـــاول بولس هذه العبارة ويطبقها على النور الذي شعّ من يسوع المسيح . فالله هو الذي قال : « ان يشرق نور من ظلمة هو الذي اشرق في قلوبنـــا لانارة معرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح » (٢ كورنثوس ٤ : ٦) وتتضمن العبارة بان الله نور انه هو الذي صنع النور ، لانه هو النور بذاته ، واننا بتفكيرنا بالنور كما نعرفه في العالم لا بدّ من ان نجد التعابير الصحيحة التي تعبّر لنا عن حقائق متنوعةعن الله .

واول حقيقة هي : ان الله اله يرغب النـاس ان يعرفوه وقد

قال احد الاساتذة المشهورين في تفسير العبـارة الواردة في سفر التكوين « ليكن نور » ان معنـاها الروحي « دعوني أرى » . ويذكر لنا الكتاب المقدس ان بولس وجد مذبحاً في اثينا للاله المجهول (اعمال ١٧ : ٢٣) وفي سفر اشعيـاء نسمع الوثنيـين يتذمرون ساعة صرخوا : « حقاً انت اله محتجب يا اله اسرائيل المخلص » (اشعياء ٤٥ : ١٥) . ولكن ليس هذا كل ما يرغبه الله للناس ، لانه يريدهم ان يطيعوه عن وعي وادراك . اذ ليس في وسع الناس ان يطيعوا من لا يعرفوه . . . ولا يعني هذا ان في وسع الناس ان يعرفوا الله عن طريق التفكير فيه ، كأن يتصوروا بانهم يجدون الله في اذهانهم ، لاننا اذا حاولنا ان نكوّن فكرة عن الله ، كما توحيه الينا تصوراتنا ، فلا بدّ ان ننتهي بخلق صنم جديد اخر لنا ندعوه الله . . . ومعنى العبارة ان الله نور هو ان هذا الله يظهر ذاته للناس . . .

*

ولا عجب فالله اظهر ذاته كاملاً ونهائياً في يسوع المسيح . وقد قـال المسيح : « من رآني رأى الآب » ولم يكن مجيء المسيح مفاجأة الى العالم لانه انما جاء ليتم ما كان الله قد بدأ بعمله منذ تأسيس العالم . وان الآيات الثاني عشرة الاولى من انجيل يوحنا تقدّم لنا صورة رائعة عن الطرق التي حاول الله فيها اظهار ذاته للناس . ولا عجب فكل ما في العالم انمـا هو مظهر من

الله . وها هي كلمات المزمور : « السماوات تحدث بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديه » (مزمور ١٩ : ١) .

وفي وسع البشر ان يتطلعوا الى كل الاشياء العجيبة في العالم فلا يروا الله فيها . الحياة كانت نوراً للناس ، والله اعطى الناس عقولاً لتدركه وافكاراً لتفهمه . والغريب ان هؤلاء الناس يستطيعون عن طريق اذهانهم ان يفكروا بامور كثيرة ، ولكنهم – ويا للاسف – قلّما يفكرون بالله . وكي يقرّب الله عقول الناس وافهامهم اليه جاء اليهم وكلّمهم بفم رسله المختارين .

ويقول الانجيل : « كان انسان مرسل من الله اسمه يوحنا » وكان يوحنا هذا آخر المرسلين ، الذين اختارهم الله ليتكلموا للناس باسمه . وقد وهب الله ابناءه قوة لكي يروا .. ، ويفكروا .. ، ويعرفوا .. ، ويفهموا .. ، ويتكلموا .. ، وفي مقدور الادميين ان يسمعوا الله يتكلم غير انهم في كثير من الاحيان يصمون اذانهم عند سماع كلامه ...

واخيراً ظهر الله للبشر عن طريق ابنه . « فالكلمة صار جسداً وحلّ بيننا » . ولذا اصبح متيسراً لنا ان نرى عمل الله عن طريق اعمال المسيح . وفي كلمات المسيح نقدر ان نسمع الله يتكلم ، وبالتالي فنحن نعرف الله عن طريق المسيح . ولما كان الناس احراراً كان لهم الخيار في ان يرفضوا الله ، حتى ولو

جاء في شكل ابنه الذي اظهر لهم محبته الفائقة . « اما كل الذين قبلوه اعطاهم سلطاناً بان يصيروا اولاد الله . » فاذا رأينا يسوع وسمعناه ، ووثقنا به ونمونا على محبته ، فنحن نتعلم بواسطته ان نحب الله وان نعيش كاولاد لله .

اله نقدر ان نثق به

والحقيقة الثانية : ان الفكرة بان الله نور تقودنا الى ان نقرر بانّ هذا الله هو اله نثق به . « الله لم يره احد قط الابن الوحيد الذي هو في حضن الاب هو خبّر . » فالله عن طريق المسيح عرّفنا عن محبته . وهل هذا يعني اننا اصبحنا قادرين ان نعرف كل شيء عن الله ؟! اجل ان هذا عسير علينا لان الله عظيم ونحن صغار ... وانه لمن المؤكد ان تكون هناك اشياء كثيرة عن الله لا ولن نستطيع يوماً ما ان ندركها . ومن اجل ذلك سيظل هذا الاله سراً من الاسرار . ولكن المسيح اظهر لنا اموراً عن الله يستطيع كل البشر ادراكه ، وما اظهره المسيح هو كل ما يحتاجون الى معرفته .

وتخبرنا هذه الكلمات : « ان الله نور وليس فيه ظلمة البتة » بان الله دائم ، وبانه موجود في كل مكان ، وانه هو نفس الاله . وفي الامور التي لا نستطيع معرفتها نجده نفس الاله المعلن عنه بيسوع المسيح ولذلك في مقدورنا ان نثق به . وانه يستطيع

ان يعمل اشياء كثيرة لا نفهمها الان ولكن علينا ان نتعلم ان نثق به حتى في الامور التي لا نقدر ان نراها ...

وقد تساءل ابرهيم قديماً : الا يصنع حاكم جميع الارض حقاً ؟! وقد جاء الجواب ايجاباً . وفعلاً فحيث عرفنا الله وجدنا اننا نقدر ان نثق به . ولكن في المواقف التي جهلناه فيها ، وفي الامور التي لم نفهمه فيها فلنتأكد بانه ما برح هو الاله الذي يوثق به .

ولنذكر ان العالم الذي صنعه هو احد الاماكن الذي فيه نستطيع ان نرى ، امانة الله ونلمسها . ولطالما يفكر البسطاء عن آلهتهم بانهم متقلبون ، اذ يتعذر علينا معرفة ماذا يريدون ان يعملوا . والناس الجهلة لا يفهمون كيف يسير عالمنا ، وما هي القوانين التي تتحكم فيه ، لذلك نجدهم يحكمون على العالم بانه متقلب متغيّر وانه سلسلة من الحوادث التي لا ترتبط بعلاقات واضحة . ففي حكمهم بانه عالم لا يضبط ...

بيد انه مع تقدم العلوم يتضح لنا بان هذا العالم هو عالم نظام وترتيب . فبواسطة بعض الالات يستطيع العالم ان يقيس ابعد النجوم ، ويعرف مما تتركب ... وهذه القوانين الدقيقة تنطبق ايضاً على عالمنا الصغير . ولا يخفى ان هناك اموراً كثيرة لا يستطيع هذا الانسان ان يدركها او يفسرها ، ولكنه يدرك

انه كلما زادت معرفته لهـذه الامور كلما اتضحت معالم ذلك النظام والترتيب ...

وقد نتساءل : لماذا يكون هذا؟! ان العـالم لا يستطيع الاجابة عن هذا بل جلّ ما يستطيع ان يقوله هو ان هذا هو الواقع ، غير ان المسيحي يعرف جواباً آخر لهذا السؤال لان الارض والسماء هي من صنع هذا الاله الامين ، ومن اجل ذلك فهو اله يوثق به . اننا نعرف بان الماء يغلي على درجة ٢١٢ فارنهيت ، لكن ليس لدينا براهين تثبت ان هذا الماء سيظل يغلي على هذه الدرجة في المستقبل القريب او البعيد ، غير اننا نسلّم بهذه الحقيقة عن طريق البداهة والافتراض . وهكذا ففي وسعنا عن طريق الفرض هذا ان نعبّر عن ايماننا بالعـالم الذي نعيش فيه . وانه لعجيب جداً ان نجد مسيحياً يؤمن بالعالم دون ان يقترن ايمانه بالله الذي صنعه . فان ايماننا بالعالم مرتكز على ايماننا بالله ليبدو اكثر تعقلاً وقبولاً ...

اله العهد

وتبين الحقيقة الناصعة كالخيوط الذهبية على صفحات الكتاب المقدس بان الله صاحب المواعيد هو اله امين . فمثل هذا الاله جدير بثقتنـا ، وان امانته ليعبّر عنها دوماً بكلمة « موعد » ولقـد استعملت هذه الكلمة لتصف العلاقة بين الله وبين من اصطفاهم

وعندما نتحدث عن عقود بين البشر ، يتبـادر الى ذهننا عادة اتفاقات تجري بين فريقين متساويين ، او بين شخصين يستطيع الواحد منهما ان يعطي شيئاً للثاني . فالسيد يتعاقد مع الخادم الذي يشتغل عنده ... والخادم يتعاقد مع معلمه الذي يدفع له المال مقابل عمله . وعندما تتوضح الشروط يُكتَب العقد ، ويظل الاتفاق ساري المفعول مدة من الزمن الى ان يجيء الوقت الذي فيه يلغى الفريقان شروط الاتفاق .

اما هذا الموعد المذكور في الكتاب المقدس انما يعتمد على اختيار الله فقط – فالانسان اختير ليقبل وليطيع . وعليه ان يمثل هذا الدور لانه قد اختير من قبل الله . ولا يجب ان يفهم اننا عندما نقول ان اسرائيل هم شعب الله المختـار انهم هم الذين اختاروا الله ، بل على النقيض ، فالله هو الذي اختارهم ...

*

وقد كان اختيار الله لهذا الشعب نتيجة اختبار عجيب لهم في الصحراء ، بعد ان خرجوا من ارض مصر عن يـد موسى . فهم شاهدوا الجبـل المقدس شعلة من نار ، وسمعوا صوت الرب يكلمهم من وسط النيران الملتهبـة . فهم عرفوا انهم اختيروا ليكونوا شعباً لله ، وطيلة تاريخهم الطويل هم لم ينسوا هذا الامر الهام . ولكن ماذا يحدث عندما لا يحافظ ذلك الشعب عـلى العهد ؟! وماذا يحصل له عندما لا يطيع الله ويحفظ شريعته ؟!

والجواب واضح ان اولئك الذين لا يطيعون الله يخسرون البركات المعدة لهم في حالة الطاعة ، وربما كان الهلاك مصيرهم ، وبما ان الله لا يتغير او يتبدل فهذه الاتفاقية تظل نافذة المفعول . وهذا الله ما برح اله شعبه حتى اذا قال لهم انتم لستم بشعبي ، لانه يعود فيجد طريقه لاعادتهم اليه ومصالحتهم معه . واولئك الذين اخطأوا يدانون ، بيد ان الرحمة لا الدينونة هي آخر كلمة عند الله . ويقول الله : « ان نقضتم عهدي مع النهار وعهدي مع الليل حتى لا يكون نهار ولا ليل في وقتهما فان عهدي ايضاً مع داود عبدي ينقض فلا يكون له ابن مالكاً على كرسيه » (ارميا ٣٣ : ٢٠ — ٢١) .

ويبدو عهد الله مع شعبه المختار في منتصف قصة التوراة ، بيد ان هذا العهد له علاقة فيما سبق وفيما سيلحق . ففي الاصحاح التاسع من سفر التكوين نجد تلك القصة الجميلة عن عهد الله « **مع جميع الناس** » . وهناك اعطاهم قوس القزح علامته لذلك العهد – ذلك القوس الذي ظهر على اثر الفيضان عندما وعد الله ان لا يهلك الجنس البشري . وكانت كلمة الرحمة آخر كلماته . فقد اختار هذا الاله ان يكون اله الجنس البشري قاطبة حتى آخر الايام . وتسول لنا النفس الامارة بالسوء ان نبتعد عن هذا الاله الرحيم – صاحب العهد الوثيق . ونتيجة ذلك اننا نخسر كل الامتيازات التي ينالها شعب الله ، لكن هذا الاله الرحيم لا

يشيح بوجهه عنا بل يظل يتلفّت الينـا ، لان قصده الازلي هو خلاص بني الانسان ...

*

ولشدّ ما اصبح العهد القديم جديداً بيسوع المسيح . وتكلّم السيد له المجد عن هذا العهد في آخر ليـلة من حياته الارضية ساعة جلس مع تلاميذه لتناول العشاء الاخير فاعطاهم الخبز والخمر ، لتكون علامات للعهد حتى النهاية . وعندما نستوضح عن شروط هذا العهد الجديد نجد الرسالة الى العبرانيين المعتمدة على كلمات النبي ارميا توضح لنا ذلك .

وشروط العهد واضحة وهي ان هذا العهد هو لكل الناس ، وليس لامة واحدة ، وان دستوره سيكتب في قلوب الناس لا على صفحات كتاب . ويعرف الجميع الله لان خطاياهم تغفر لهم اذ يقول الرب اجعل نواميسي في اذهانهم واكتبها على قلوبهم وانا اكون لهم الهاً ... لاني اكون صفوحاً عن اثامهم ولا اذكر خطاياهم وتعدياتهم فيما بعد (عبرانيين ٨ : ١٠ — ١٢) . ولما كان المسيح قد مات من اجل الجميع ، فكلنا له نصيب في هـذا العهد . لكن بما ان اغلبية النـاس العائشين على ارضنا لم يتح لهم بعـد ان يسمعوا باسم المسيح لذلك فهم غـير قادرين ان يستفيدوا من هذا الامتياز المعطى لهم ليصبحوا اولاداً لله ...

اما المسيحيون فهم شعب هـذا العهد الجديد ، وهم ليسوا مسيحيين حقيقيين الآ اذا حاولوا ان يجلبوا الآخرين الى الاشتراك بهذا العهد . وليس هذا العهد شيئاً نعمله نحن بل هو من صنع الله ، وما علينـا الا ان نشترك فيه . ان هـذا العهد موجود وسيظل موجوداً ، لان الله موجود دائماً ولا يتغير او يتبدل انه اله امين . « ان كنا غير امنـاء فهو يبقى اميناً لن يقدر ان ينكر نفسه » (٢ تيموثاوس ٢ : ١٣) وحقاً ان الله لا ينكر نفسه لانـه هو دائماً امين لنفسه . وهو يتصرف دوماً بحسب طبيعته الكاملة ولا يمكننا ان نتصوره يتصرف بطريقة مخالفة الكمال الالهي ...

الاله الذي هو حرّ

ويظن البعض انه من الحذق ان يتساءلوا ان كان الله قد أمر بعمل بعض الاشياء لانها جيدة . وليس هذا السؤال بلا معنى بل انه موضوع بطريقة مغلوطة ، واذا ما عدنا الى النقطة التي بدأنا منها فنقول : « الله نور وليس فيه ظلمة البتة » فلا يكون هناك مجال للتناقض البتة او عدم الانسجام ، لان الناس يختلفون عن هذا فهم يعملون الان شيئاً وبعد وقت يعملون شيئاً آخر . اما الله فهو دائماً واحد واعماله منسجمة دوماً .

ولا يُفهَم من هذا ان الله يعامل الناس كما يعامل الحجارة

والريح والاشجار ، وليس معنى ذلك ايضاً انـه واحد تجاه من يسعون لتتميم مشيئته ، وبـين من يعصون اوامره ، ويسلكون عكس ارادته ، ولكنه هو لا يتغيّر بمعنى ان مقصده لا يتبدّل – اذ هو يريد الخير لجميع الناس . وقد يقول البعض لكن الله ليس حراً اذ في وسعنا ان نختار في حين انه يعمل بطريقة واحدة . ولذلك فنحن اكثر حرية منه ... ولكن لنسأل من اي شيء نحن قد تحررنا ؟!

السنا نرى البعض يتصرفون بدافع من اناس آخرين ، محاولين تنفيذ ارادة سواهم أفليست هذه عبودية ؟! وانه خير لنا ان نكون احراراً من ان نكون عبيداً ارقـاء ... وحتى اذا تحررنا من سلطة الاخرين هل نحن قد تحررنا من سلطان الذات ؟! فنحن انما نسيّر في هـذا الطريق او ذاك بافكار ، ورغبات ، واحساسات متنوعة . فنقول ساعة انا نرغب ان نعمل شيئاً ، ثم نعود بعـد ذاك فنعمل الشيء الآخر ... وهذا نراه في حياتنا العادية وينطبق على الامور البسيطة في مرافق عيشنا مثل نهوضنا في الصباح حيث نفكر اننا سوف ننهض في ساعة معينة ثم نعود فنغير فكرنا فنتأخر في النهوض عن ذلك الموعد الذي اردناه .

وما الحرية التي ننشدها سوى تحرر من قيود النفس ، ومن حياة الظلام . وعندما نعمل بما توحيه اليه نفوسنا السامية فعندذاك

نعتبر انفسنا احراراً . وعلى ضوء هذا نستطيع ان ندرك ان الله كامل الحرية ، فهو يعمل دائماً حسب ارادته وطبيعته ، وانّ ما يعمله الله فذاك بلا شك هو الاحسن والاصلح .

الاله الذي يحب الخير

وربما تساءلنا : ما هو الخير الاعظم ؟! وما هو الانسان وما هو خير له ؟! وماذا نعني بكلمة احسن ؟! ولربما وجدنا جواباً لهذا السؤال بتوجيه سؤال آخر : لماذا صُنعت هذه الاشياء التي هي في متناول ايدينا ؟! فالسكين مثلًا قد صنعت للقطع ، فاذا كانت تقطع فهي سكين جيدة واذا لم تقطع فهي غير جيدة ، مهما كان منظرها جميلًا وجذاباً ... والخيمة انما صُنعت للنوم — فاذا لم يكن في وسعها دفع المطر عن المتظللين بسترها ، فهي خيمة غير صالحة اذ هي لا تؤدي الغرض الذي من اجله صُنعت ... وهكذا دواليك عن باقي الاغراض والاشياء والادوات ...

ولماذا خُلق الانسان ؟! هل من السهل الاجابة على هذا السؤال ؟! ففي اللغة بعض الكلمات التي لا نستطيع اعطاء معانيها الا اذا قارناها بكلمات اخرى ... فكلمة زوج لا يتضح معناها الا اذا قورنت بكلمة زوجة ، وهكذا الآب فلا معنى لها ان تحررّت عن البنين . ويعتقد المسيحي بان كلمة انسان لا تُفهَم

ان تجرّدت عن كلمة الله . وقد تعالى الصوت قديماً « يا الهنا قد صنعتنا لنفسك » . وفعلاً فان الانسان انما خُلق لاجل الله ، وهو ليس بانسان الا متى بدأ يعرف الله ويحبّه ...

واذا قبلنا بهذا فلا بدّ ان نحصل على الجواب لسؤالنا : ما هو الخير الاعظم للانسان ؟! وها هم الكتّاب غير المسيحيين قد ادركوا جانباً من هذه الحقيقة . فافلاطون الفيلسوف الاغريقي الشهير الذي عاش في القرن الرابع ق . م . يقول ان احسن شيء للانسان هو ان يكون مماثلاً لله . ويتناول العهد الجديد هذه الفكرة ويبرزها بشكل اوضح اذ يقول : واجب علينا ان نعيش كاولاد لله ، وبان نكون كاملين كما ان ابانا السماوي هو كامل ...

*

ورب سؤال يقود الى آخر . ولذلك قد نتساءل وكيف يستطيع الانسان ان يصبح مثل الله ؟! وما هو معنى قولنا انه يترتب علينا ان نعيش في هذه الدنيا كاولاد حقيقيين لله ؟! لقد اعتقد حكماء الاغريق ان التفكير هو اهم عمل للانسان ، اذ ان هذا الانسان انما يماثل الله ساعة يفكر ويصبح حكيماً ، وهذا الانسان الحكيم يكون هادئاً لا تثيره المخاوف او الرغبات او الشهوات .

ولشدّ ما ماثلت فكرة كنفوشيوس (ذلك الحكيم الصيني

العظيم الذي عاش من عام ٥٥١ – ٤٧٨ ق . م .) فكرة الاغريق القدماء . فغاية الانسان – في زعم كنفوشيوس – هي ان يحصل على الحكمة – تلك الحكمة التي عرّفها بقوله بان يكرّس الانسان ذاته للواجبات ، وانه في احترامه للروحانيات يبتعد عنها .

وعلى غرارهم اعتقد الهنود ان الانسان يصبح شبه الله نتيجة احساس داخلي فيه ، يشعره بانه واحد مع الله ، لذلك ترتب على مثل هذا الانسان ان يبتعد عن كل ما هو خارج عن نفسه ، وان يتعمق في ذاته بحيث يتسنى له ان يجد الله فيها . فلا يقال عند ذاك « الله وانا » بل يصبح الاثنان واحداً .

ويذهب فريق آخر الى انه في الوسع ان يصبحوا مثل الله عن طريق اثارة روحية ، وتهييج نفساني ، ونشوة صوفية ، كما عمل كهنة البعل على جبل الكرمل قديماً . ونشاهد امثال هؤلاء في الاجتماعات الانتعاشية التي يعقدها دعاة الحلولية ساعة يتهيجون ويثورون ، في حين ان الكتاب المقدس ينصّ صراحة بان هذه الامور ليست ضرورية للخلاص ولا للتشبه بالله .

*

ويعلّمنا الانبياء درساً عظيماً وهو انه ان رمنا التشبه بالله فعلينا ان نكون صالحين . ومعنى هذا ان نكون امناء وعادلين ولطيفين في شتى مرافق حياتنا اليومية . ولطالما وثق العبرانيون

القدماء بعبادتهم وجعلوا هيكلهم واعيادهم قبلتهم وغايتهم مما لم يكن ليرضي الله ، اذ نسمعه على فم انبيائه وخصوصاً اشعياء وعاموس يكلمهم بانه يكره مثل هذه الامور . وفي كلمات النبي ميخا يتوضح لنا ذلك عندما يقول : «وماذا يطلبه منك الرب الا ان ان تصنع الحق وتحب الرحمة وتسلك متواضعاً مع الهك»
(ميخا ٦ : ٨) .

فالله يهتم بالبساطة والفضيلة اكثر مما تهمه الفخفخة ومراسيم العبادة ، واذا لم تحصل الارملة على العدل .. واذا لم ينصف اليتيم .. فالله يلاحظ ذلك ... كذلك اذا تكبّر الاغنياء على الفقراء واحتقروهم ... فالله ايضاً يلاحظ ذلك ... فاذا ما رام الانسان ان يماثل الله فليكن صالحاً وهذا ما توضحه لنا اسفار العهد القديم ، وهذه هي الحقيقة العظيمة التي بنى المسيح عليها تعاليمه في الانجيل .

وبالرغم من ان الاغريق كانوا شعباً عظيماً فانهم لم يستطيعوا ادراك هذه الحقيقة . ففي قصائد هوميرس التي ظهرت حوالي الف سنة قبل الميلاد نجد الالهة تشابه الناس ، الاّ انهم كانوا اقوى منهم بحيث لا يموتون .. غير ان هذه الالهة كانت تحب الحرب ، وتميل الى البغضاء والكراهية ، وتخطىء مثل باقي الناس . والزائر الى احد الهياكل في الهند ينقاد الى الاثم اكثر

من انقياده الى الفضيلة ، لما يجده يمارس في داخل ذلك الهيكل» ...
اما الكتاب المقدس فيصّر دوماً على هذه الحقيقة ويوضحها بجلاء
بان من رام ان يشابه الله عليه ان يكون عادلاً ... وامينا ..،
ولطيفاً ..، وطاهراً ..، وصادقاً ...

*

وليس عسيراً علينا لمس هذا ما دامت الوصيتان العظيمتان في العهد الجديد تناديان : **اولاً** بمحبة الله . **وثانياً** بمحبة القريب .
وهاتان الوصيتان انما تسيران جنباً الى جنب . فالله خلق الانسان لكي يعيش هكذا بائتلافه مع اخيه الانسان . وها نحن نبدأ حياتنا كاعضاء في عائلة واحدة بحيث نجد الاخوة والاخوات يعيشون معاً . ومن هذه العائلة تتكوّن القرية والمدينة ، والعشيرة ، والقبيلة ، وفي النهاية الشعب والاسرة البشرية بكاملها .

واذا ما رام الناس ان يعيشوا بوفاق وبسلام كان لزاماً عليهم ان يحترموا بعضهم البعض ، وان يحبوا بعضهم البعض . ويتحول المجتمع الى جحيم ساعة يظن الاغنياء انه في وسعهم ان يتصرفوا كيفما شاءوا — او ساعة يسعى الاقوياء لسلب حقوق الضعفاء ومعاملتهم معاملة سيئة . ومما لا ريب فيه انه في مجتمع مثل هذا لا يقدر الانسان ان يكون مثلما اراده الله ان يكون ... ويقول الرسول : « ان قال احد اني احب الله وابغض اخاه فهو كاذب

لان من يحب اخاه الذي ابصره كيف يقدر ان يحب الله الذي لم يبصره» (١ يوحنا ٤ : ٢٠) فمن لا يحب الله لا يقـدر ان يصبح مماثلًا له .

ومن اجل هذا نستطيع ان ندرك لماذا كانت معظم فصول الكتاب المقدس مملوءة بالقوانين والفروض ، لان الله عندما يخبرنا ماذا يجب علينا ان نعمله انما هو يخبرنا عما في ذاته . وفي بعض اسفار العهد القديم نجد الله يشدّد على اللطف ، حتى انه يطلب منا ان نظهره لحيواناتنا . ففي سفر التثنية مثـلًا تشريع خاص لاراحة الحيوانات الاليفة يوماً في الاسبوع ، ونهياً عن اخذ فراخ الطيور من اعشاشهـا ، لان هذه الحيوانات تستحق عطفنا مثلما يستحقه الانسان . ويبـدو ان هـذا الاله الذي اظهر نفسه للعبرانيين القدماء كان الهاً للطيور والحيوانات بالاضافة الى كونه الهاً للبشر .

الله كما يُرى في يسوع المسيح

ولم نجد بعـد جواباً كاملًا لسؤالنا : ما هو الانسان ؟!
فالقوانين تخبرنا ماذا يجب ان نكون ... ولكن ليس في الوسع ان نقيّد الناس بسلسلة من القوانين ، لان الحيـاة ابعد من ان تحدّ او ان تقيّد . ونحن انما نعيش حياتنا الانسانية كما يجب ان يعيشها البشر . ولذلك كان الانسان حراً فيما وجب ان تكون

حياته . ويوضح الايمان المسيحي لنــا هذا الامر بانِ ينصحنا ان نتطلع الى يسوع لمعرفة طبيعة الانسان لانه هو الانسان الوحيد الصادق والكامل .

وربما استغرب البعض هذا القول لانهم منذ نعومة اظفارهم تعودوا ان ينظروا الى يسوع كابن لله . فهو يختلف عنا كثيراً فلذلك كيف نفكّر به كانسان مثل باقي البشر ؟! بيد ان هذا هو عين الخطأ اذ انه يخالف ما يعلّمنا اياه ايماننــا المسيحي عن الله . وسوف لا نتعرض الى هذه المسألة مطولاً اذ ان كتاباً خاصاً في سلسلة هذه الكتب المسيحية التي سنصدرها سوف تعالج هــذا الموضوع الهــام عن شخص يسوع . ويكفينا ان نقول الآن ان العهد الجديد انما يظهر لنا المسيح كانسان ، ويوضح ذلك ايماننا المسيحي الذي نعترف به عندما نقول : هو انسان حق واله حق . . .

فالمسيح يرينا كيف وجب ان يكون الله . . وكيف وجب ان يكون الانسان . . ولا غرابة في ذلك اذ ان المسيح يستطيع ان يجمع الامرين ، ويتمم الوصيتين : بمحبة الله الكاملة ، والمحبة التامة لبني الانسان حتى للاشرار منهم . ومن المسيح نستطيع اخــذ صورة تامة عن الانسان ، لانه هو الانسان الحقيقي وحده . وكل ما لدينا من افكار انما هي تشبه الرسوم البدائية التي يصورها ولد ناشيء يحاول رسم الخطوط لتصوير الله .

وانـنا نجد في شخص المسيح اشياء لا يمكن ان توجد كلها مجتمعة في حياة الناس . فهو حكيم ، وبسيط ، وشجاع ، ورؤوف ، وصارم على من يظنون انفسهم احسن مما هم حقيقة ، ولطيف مع اولئك الذين يعترفون بقصورهم وخطإهم . وليس في الوسع ان نتصور شيئاً صالحاً ولا نجده فيه ... وفي رسالة غلاطية نجد الرسول بولس يعدّد لنا بعض الصفات الحميدة ، حيث يذكر تسعاً منها : المحبة – والفرح – والسلام – وطول الاناة – واللطف – والصلاح – والايمان – والوداعة – والتعفف ... واكثرنا يوافق بان هذه هي ابرز الصفات المرغوبة وهي عين ما يجب ان نتحلى بها . وهل في طوقنا ان نجد صفة من هذه غير موجودة لدرجة الكمال في شخص الرب يسوع ؟!

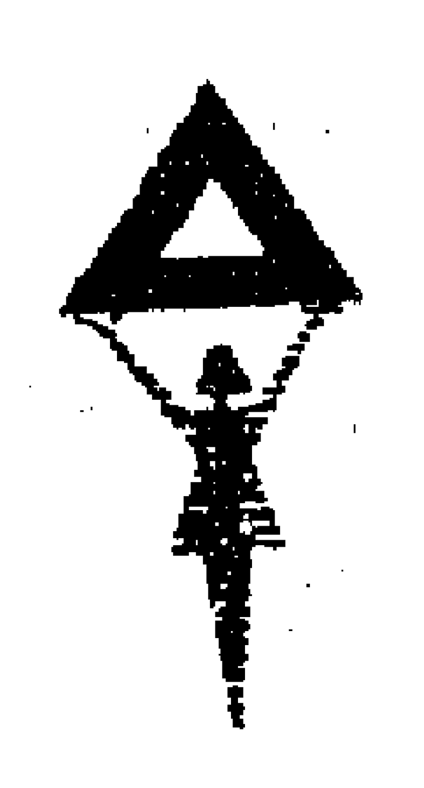
فالمسيح حائز على هذه الصفات لان هذه هي صفات الله . وان قصد الله هو ان يرينا ذاته عن طريق يسوع . وكل ما نعرف عن الحياة الباطنية هي اننا نعيشها ، وهكذا لما شاء الله ان يعرف الناس الله كان لا بدّ له من ان يظهر ذاته في حياة انسان . ولا يكون الانسان انساناً كاملًا الا متى شابهه الله ، وعاش باتصال معه . وليس لله ثمة قصد آخر سوى ان يكون هذا الانسان مشابهاً له . وقد اعطيت التعاليم في العهد الجديد لنعرف كيف نهرب من « الفساد الذي في العالم بالشهوة ولنصبح شركاء الطبيعة الالهية »

(٢ بطرس ١ : ٤)

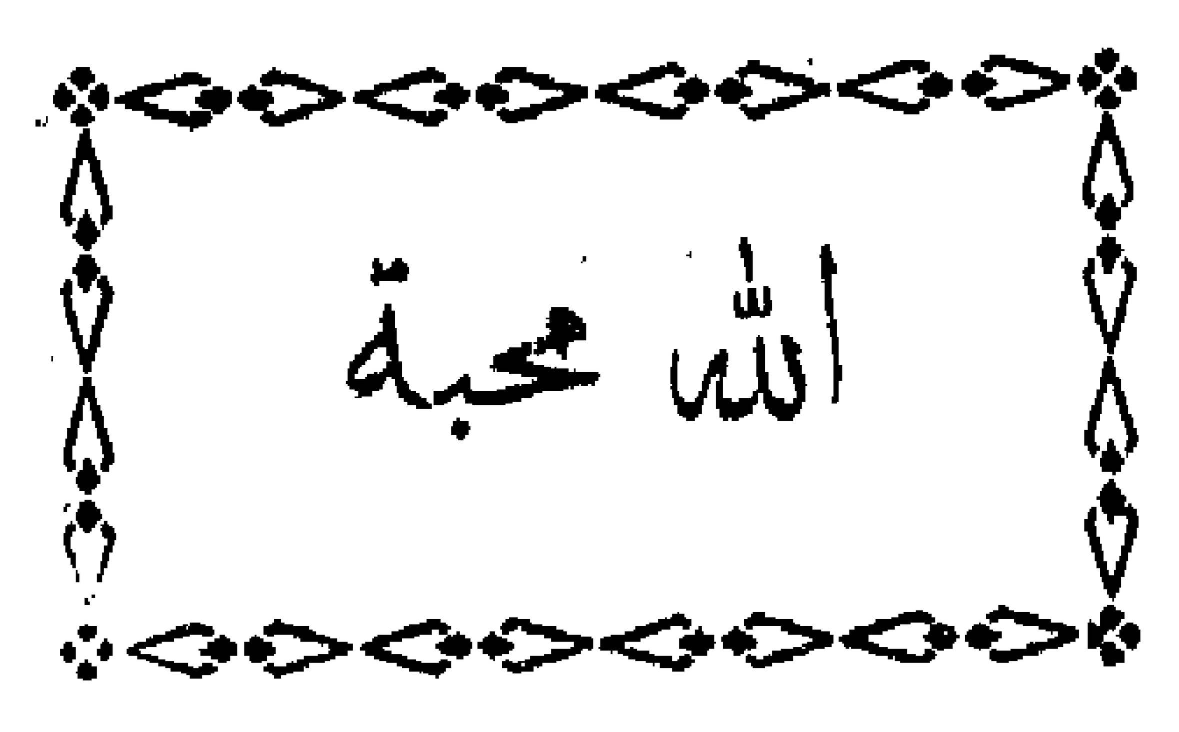
وليست دراسة عقيدة الله شيئاً نختزنه في اذهاننـــا بدون ان يكون له مساس في حياتنـــا . فمعرفة الله لا بدّ من ان تتحدانا ، وتكون محكاً لحياتنا . وعندما نعرف حقيقة الله فعندذاك لا بدّ من ان نقبل دعوته محاولين التشبه به . وربما نتساءل قائلين : ان هذا عسير علينـــا لاننا نحن ضعفاء ومساكين وهل في وسعنا عمل شيء من هذا القبيل ؟!

واذا وضعنا السؤال بشكله المضبوط وجدناه هكذا : ليس ما نقدر ان نعمله نحن بل ما عمله الله لنـــا . فالله بذاته يأتي الينا كواهب للحياة . وهو يلاقينا كصاحب النور الذي به يظهر لنـــا ذاته . واذا رمنا ان نشابهه فلا بدّ ان يلاقينا كمن يريد ان يحررنا من اثام الماضي ، ويخلق منا خلائق جديدة للعصر العتيد . . .

وفي الفصلين اللاحقين عن الله انه محبة . . . وانـــه روح . . . سنحاول ان نظهر ماذا عمل الله للانسان ! وماذا هو صانع ليجعل كلّ الاشياء الجديدة تعمل حسب ارادته . .



الفصل الرابع





معنى المحبة في الكتاب المقدس

الله محبة : هذا هو قلب الانجيل . وانه ليتعذر علينا ان نجد كلمات ابسط من هذه للتعبير عن محبة الله بيد ان الكثرة من المسيحيين لا يجدون سهلاً عليهم ان يفهموا هذه العبارة ، لا سيما عندما يضطرون الى مواجهة اختبار اليم ، او حزن شديد ...!

وعلة ذلك انهم كثيراً ما يبدأون بفكرة خاطئة عن المحبة ، ولما كانوا يرغبون في تطبيق افكارهم الخاطئة على الايمان المسيحي فلا بدّ لهم من ان ينتهوا الى نتائج مغلوطة . وعندما تُستعمل كلمة محبة يتبادر الى الذهن حالة الحب التي تتميّز باحساس شديد تنسي صاحبها كل شيء حوله . وقد قيل قديماً : « الحب اعمى » . بيد ان هذا ليس حقيقياً لان العاطفة قد تكون عمياء ، بيد ان

الحب له عينـان مفتوحتان . واذا سار الاباء عـلى نهج تدليل اولادهم بحيث يتغاضون عن اخطائهم فلا تكون محبتهم لاولادهم حكيمة او صادقة . واذا ما رمنـا ان نتفهم تماماً معنى الكلمات « الله محبة » . فلا بدّ لنا من ان ننتزع امثـال هذه الافكار الخاطئة من اذهاننا .

واننا نجد المحبة كما يصورها لنا الكتاب المقدس تتجاوز دائرة الاحساس ، اذ هي تتمثّل في الارادة والعمل . وقد لا تتجرد المحبة عن الاحساس بيد ان هذا ليس بالامر الاساسي ، لان المحبـة كما يصورها الكتاب المقـدس هي اتجاه الارادة لخير الاخرين . وهي تتجسم في العمل ومساعدة الغير وقت الحاجة .

واننا نرى في مثل السامري الحنون ، كيف ان السامري لمّا رأى الرجل الجريح هبّ لمساعدته ، لانه ادرك ان الاقتصار عـلى الاحساس مع الجريح لا يجديه نفعـاً ، فما احتاجه الجريح آنذاك كان العمل لانقاذ حياته ، ولم يتدّم لنا المسيح هذا المثل ليعلّمنا ماذا يجب ان نعمل ، بل قدمه لنا ليعطينا صورة عن الله فيها يتوضح لنا بانّ الله انما يعمل لخلاص بني الانسان .

فالمبدأ الاول في قولنا ان الله محبة يظهر في ارادة الله الخيّرة وعمله المقدس لمساعدة وخلاص من هم في حاجة اليه . فالله هو الذي اختارنا ، وقد شاءت ارادته العلية بان يكون الهاً للجنس البشري .

وهــذا الاله لا يتغيرّ ، ونحن متيقنون ايضاً ان هــذا الله لا يترك مخلوقاته . فكل ما يعمله هو جزء من غرضه بان يكون لنا الهاً ، وان يعطينا كل ما هو صالح لنا ، ونافع لحياتنا .

محبة الله العاملة

وتبدو محبة الله في عنايته لجميع مخلوقاته ، وهذه المحبة موضحة في اماكن متعددة في الكتاب المقدس ، ولكن ربما كان ابرز ما تظهر فيه هي في الاصحاحات الاربعة الاخيرة من سفر ايوب . فهناك نجد صوراً عن طيور وحيوانات ... فهناك نسر ، وجواد ، ونعامة ، وتمساح . ولم ينل ايوب جواباً على سؤاله لماذا سمح الله بهذه الالام ، انمــا هو حظي بصورة عن الله الذي يعلم ويفهم ويعتني ... ولم يصوّر الله كاله قوي يستطيع ان يعمل ما يشاء في عالمه بل نجده يراقب الطيور والحيونات الغريبة والمختلفة – امثال تلك التي ذُكرت – والتي تعيش في صحاري نائية لم تطأها اقدام البشر . وهــذا الله يعتني بها ويسرّ عندما يراها تستعمل تلك العطايا التي هو بنفسه قد اعطاها اياها .

*

وتظهر محبة الله اولاً في الطريقة التي فيها يقدم هذا الاله المحب للجميع حاجاتهم . بكلمــات المرنم : « اعين الكل اياك تترجى وانت تعطيهم طعامهم في حينه » (مزمور ١٤٥ : ١٥) ونجد صدى

لكلمات هذا المزمور في العهد الجديد : « هو يفعل خيراً يعطينا من السماء امطاراً وازمنة مثمرة ويملأ قلوبنا طعاماً وسروراً » . (اعمال ١٤ : ١٧) ويبدو لنا ان هذا العالم الذي نعيش فيه محفوف بالاخطار اذ تسقط فيه بعض المرات امطار وفيرة ، وفي اوقات اخرى ينحبس المطر ويشح ، فلا ينتظر حصاد وفير كل عام . غير انه بالرغم من هـذا التغيير في نسبة سقوط المطر فلا بدّ من تساقط الامطار في النهـاية ، حيث تُنبت الارض الزرع وتنضج الاثمار التي هي قوام معايشة الانسان والحيوان . وهذه شهادة دائمة عن محبة الله وعنايته لمخلوقاته التي خلقها .

وتظهر محبة الله ثانياً في الطريقة التي فيها يتحكم الله بتاريخ العالم وخصوصاً في عنايته للناس الذين اصطفاهم . ولا تعني المحبة ان يعطى الاولاد ما يريدون ، اذ ان المحبـة الحقيقية تستدعي الشدة فلا يسمح لصاحبها ان يسترسل بمسراته بدون قيـد ، لان المحبة تتوق لان ترى المحبـين صالحين ، ومن اجل ذلك فصاحب الحب يكره الاخطاء التي تفسد احبـاءه ، وتحول دون ان يكونوا صالحين ، ومن اجل ذلك نجد المحب يرضى بان يتخـذ ايّ اجراء مهما كان شديداً لابعـاد الاخطاء عن المحبوب وتحريره من كل ما يشوبه ...

وظن العبرانيون لكون الله اختارهم ان يكونوا شعبه بانه يحق لهم ان يتساهلوا في الخطية ، لان الله يحميهم دائماً ، بيد ان قسماً

كبيراً من رسالة الانبياء انما تناقض هذا الادعاء كل المناقضة .
فالنبي عاموس يقول : اياكم فقط عرفت من جميع قبائل الارض
لذلك اعاقبكم على جميع ذنوبكم (عاموس ٣ : ١٧) ويخبرنا
العهد الجديد ايضاً : «لان الوقت لابتداء القضاء من بيت الله»
(١ بطرس ٤ : ١٧) ونجد في مجرى حوادث الكتاب المقدس ان
الذين احبهم الله واصطفاهم هم اولئك الذين يتألمون اكثر ويعاملون
بقسوة اشدّ ...

واقد وقعت مصائب فظيعة على الشعب العبري اذ دمر الأعداء
القدس عاصمة بلادهم ، واحرقوا هيكلهم ، وساقوا افراد شعبهم
اسرى الى بلاد بعيدة ، وبدت النهاية وشيكة الوقوع الا ان الله
لم يرد ان يهلك الشعب برمته بل ابقاه حياً جاعلاً تاريخهم شهادة
صريحة على عدل الله ومراحمه . ويلخص هذا نحميا الذي عاش عام
٤٤٤ ق . م بقوله : « انت اله غفور وحنان ورحيم وطويل الروح
وكثير الرحمة فلم تتركهم » (نحميا ٩ : ١٧)

محبة الله معطاة لنا

وتظهر محبة الله ايضاً في عنايته بكل مخلوق بشري ، وتتجلى
هذه المحبة في منحه عطية الحرية لنا . فالله حررنا ، وهو لم يأخذ
الحرية منا وهو لا يجبرنا ابداً بان نحبه وان نخدمه ، وانما هو يتوق
لان نحبه مقابل محبته لنا . والله لا يتدخل في شؤوننا بل يتركنا

احراراً لنختار ما نريد . ومما لا ريب فيه ان هناك حدوداً لحريتنا لان في حياتنا اموراً كثيرة يتعذر علينا ان نغيّرها او نبدّلها . فنحن لا نستطيع مثلاً ان نغيّر شيئاً من لون شعرنا او شكل عيوننا . واذا لم نكن قد وُهبنا الاذن الموسيقية فمن العسير ان نصبح موسيقيين . واذا كنا قد وُلدنا في بلاد ما ، ونشأنا ضمن عائلة خاصة ، فلا سبيل الى تغيير ذلك مطلقاً . . .

وتبدو اثار اسلافنا علينا ونحن نسير في مواكب الزمن . ويدلنا العلم الحديث باننا مدينون لهؤلاء الاسلاف بكثير من ميراثنا . فهؤلاء الاجداد قد اثروا علينا ونحن صغار . وجميع هذه الامور المتوارثة تحدّ من حريتنا بيد انه رغم كل ذلك فنحن احرار ، وفي وسعنا ان نختار ، وكل منا يختار يومياً مئات الامور سواء اكانت هذه كبيرة ام صغيرة . ولا يخفى ان الامور التي نختارها هي التي تكوّن اخلاقنا ، وتخلق منا ما نحن عليه ، وما يظهر فينا اليوم ان هو الا نتيجة هذه الاختبارات العديدة التي مرّت علينا في الماضي .

وهذه الحرية التي منحها الله لنا هي التي تمكننا ان نقول لله لا اذا شئنا ، وان نعمل ضد ارادته ان اردنا . فنحن نعتمد اعتماداً كاملاً على الله ، وبدون عنايته لا نستطيع ان نوجد دقيقة واحدة على هذه الدنيا واننا لا نقدر ان نعمل شيئاً الا اذا هو امدّنا بالقوة

والقدرة . فنحن نذنب بملء ارادتنا واختيارنا ، ولكننا لا نقدر ان نخطىء ان لم يكن الله قـد وضع نصب اعيننا الخير والشر ، واعطانا الحرية لنعرف ايهما نختار ...!

*

ومن اجل ذلك ترتب علينا ان لا نقول بان الله مسؤول عن خطايانا ، بالرغم من ان الله صنع عالماً وجعل فيه للخطية مجالاً ... وربما تساءلنا لماذا عمل الله هكذا ؟! وقد سبق فذكرنا ان الله اصطفى الارواح الحرة لتختار لنفسها بان تحبه وتخدمه . وها هي الشموس والكواكب تسير في طرقها التي رتبها الله لهم ، وكذلك ها هي الحيوانات تعيش بموجب غرائزها ، فلا تستطيع ان تختار ما هو مخالف لحياتها . فالنمر يتصرّف كباقي النمورة في كل مكان وزمان ، ونحن لا نلوم النمر اذا فتك بانسان او بحيوان آخر ، لان هذا امر غريزي فيه ... انما الله اراد من الانسان ان يكون غير ذلك ، ومن اجل هذا منحه قوة الاختيار . وعطية الاختيار هـذه تفرض امكانيات قد تكون في بعض الاحيان نزوعة الى الخطأ .

وفي الميسور تفهّم هذا عن طريقة الحياة الانسانية الحقيقية ، وفي الشكل الذي يربي فيه الاباء اولادهم ، فاذا رغبنا ان ينمو اولادنا فلا بدّ لنا من اعطائهم الحرية ليعملوا ما يريدون . ولا يغرب عن البال ان هـذه الحرية تجلب معها احياناً بعض المخاطر . فقد روي عن مرسلين في بلاد الهند انهما كانا يسمحان لولديهما

البالغين تسع سنوات من العمر ان يركبا دراجة ، في الذهاب الى مدينة تبعد عن مسكنهما مسافة الميل ، فيجلبان الرسائل لسكان الدار . وكان الاباء الهنود يقولون نحن لا نسمح بمثل هذه الحرية لاولادنا الذين نحبهم كثيراً ، ونخشى ان يصيبهم مكروه من جراء ركوبهم الدراجات . فاي من الفريقين كان على صواب ؟! اولئك الذين جعلوا اولادهم ينشأون وهم يتحدّون الاخطار ؟! ام اولئك الذين رغبوا انْ تتجنب اولادهم اي لون من الوان المخاطر ؟!

وعندما خلق الله هذا العالم للانسان وفرّ فيه الوان الحرية ، واوجد الامكانيات لدخول الخطية اليه ، ليتسنى للانسان ان يختار ما يشاء . وكثيراً ما اساء الانسان الاختيار ساعة سمح للخطية ان تدخل عالمه . ولا غرابة فالخطية هي جزء من كلّ منا بالرغم من تعذر اثبات ذلك علينا انما هذه هي الحقيقة ...! ومن منّا يجرؤ على التصريح بانه لم يفعل شيئاً خاطئاً طيلة حياته ؟! واذا قال احدنا مثل هذا فاننا لا نصدق قوله ونعجب كيف انه يتعامى عن الاخطاء التي يراها فيه غيره من الناس .

المحبة نعمة ورحمة وغفران

والان ما هو موقف الله تجاه عالم دخلته الخطية ، وتجاه اناس اختاروا الضلال سبيلاً لهم ؟! ولا بد ان يتسرب الى عقولنا في البدء ان الله يغضب . وفي اكثر الاحيان عندما يخطىء الناس نجدهم

يميلون الى الخوف من الله ، ومن الاعتقاد بان الله غير موجود او انه لا يرى ماذا يعملون . وبكلمات المزمور : « قال في قلبه ان الله قد نسي حجب وجهه لا يَرى الى الابد » (مزمور ١٠ : ١١) ولكنهم بالرغم من انهم يقولون هذا فهم يجدون شيئاً في داخلهم ينبئهم بان هذا ليس صحيحاً ...

والانجيل يواجه هذه الحقائق بجرأة لان رسالته هي ان محبة الله لا تتغير وان الله ما برح يحب الخطاة . ومحبة الخطاة لها صفة خاصة وجب ان نتفهمها ، وقد عبّر عنها الكتاب بكلمات ثلاث : **النعمة — الرحمة — والغفران** .

*

النعمة : ومعنى النعمة المحبة لمن يستحقونها ، وهي دائماً تهدف الى تنفيذ ارادة الله بدون ان تسيء الى احد . والنعمة تجعلنا ان نشعر باننا قد حصلنا على محبة الله التي لنا حق فيها . وعندما يذنب الناس تراهم يحاولون استرضاء الله عن طريق الاعمال الصالحة او بتقديم العطايا ، او بعقاب انفسهم او باية وسيلة اخرى . ولكن بالرغم من هذا فحياتهم تظل تاعسة لانهم لا يتأكدون بانهم قد عملوا الكفاية لاسترضاء الله . وفعلاً نحن كبشر لا نستطيع ان نعمل كفاية . واذا اخطأنا فنحن لا نستحق عطف الله علينا مطلقاً وان رغب الله ان يقبلنا فما ذلك الا من فرط رحمته لانه اله

يحبنا دائماً ليس لاننا صالحون ، بل لانه هو صالح وحنّان ورحيم ...

*

الرحمة : ومعنى رحمة الله انه لا يرغب ان يعاقب الناس او يرفضهم لانه بلسان ارمياء يقول : « لا يذل من قلبه ولا يحزن بني الانسان » (مراثي ارميا ٣ : ٣٣) وليس له ثمة غاية سوى ان يعود الناس اليه ويحبوهُ . « هل مرة اسرّ بموت الشرير يقول السيد الرب الا برجوعه عن طرقه فيحيا ... ولاني لا اسرّ بموت من يموت يقول السيد الرب فارجعوا واحيوا » (حزقيال ١٨ : ٢٣ و ٣٢) ويبدو الله دائماً كالراعي الصالح الذي يذهب الى البرية ليفتش عن خرافه الضالة .

*

الغفران : ومعنى الغفران والمصالحة ان الخطية لم يعد لها قوة لتفصل الانسان عن الله . والخطية دائماً تفرّق بيد ان الغفران يزيل هذه الاثام ومن غُفرت له خطاياه لا يخشى شيئاً لان من غفر وسامح لا يعود يفكر بالخطية مرّة ثانية ، لان صلته مع الله تماد اليه كاملة . ومعظمنا قد اختبر صحة هذا من علاقاتنا مع عائلاتنا ...!

*

وقد نتساءل قائلين : هل الله هكذا ؟! وكيف نعرف

ذلك ؟! وجوابنا على هـذا دائماً هو يسوع المسيح . فصليب الفادي يؤكد لنا ان الله مثل هذا . فالمسيح قد مات من اجلنا ، لان الله هو محبة . وقد اظهر المسيح لنا على الجلجثة كيف كان الله منذ البداية ، وكيف يكون ايضاً حتى النهاية . وان تأكدنا من هذا فاننا نجد جواباً لاول سؤالاتنا : وهو كيف يتسنى لنا ان نحب الله الذي لم نره ابداً ...؟

ويجيب القديسون على هذا السؤال بنغمة واحدة وهي انهم تعلموا محبة الله عند صليب المسيح . واذا كان الله قـد صنع الكثير من اجلنا فانه ليس كثيراً علينا ان نحبه ونقابله بمثل ذلك الحب ولا شك ان الاستسلام والطاعة والشكر – هي من العناصر التي تكوّن محبة المسيحيّ لله .

اله يحب الخطاة حقيقة

واذا تساءلنا بتوسع ماذا علّم يسوع عن الله بواسطة موته الكفاري ؟ انه ارانا بوضوح ان الله يحب الخطاة . « ولكن الله بيّن محبته لنا : «لانه ونحن بعد خطاة مات المسيح لاجلنـا » (رومية ٥ : ٨) . ويعتقد معظم النـاس ان الله يحب الخطاة عنـدما يتوبون ويطرحون خطاياهم جانباً » ، ويعودون الى طريق الصلاح . ولكن الانجيل لا يخبرنا مثل هذا بـل يرينا المسيح بانه صديق للخطاة ، وان الله هو الذي يتخذ الخطوة الاولى للمصالحة .

فالله لا ينتظر عودة الخروف الضال من البرية ، بل انه يذهب بنفسه اليه ليفتش عنه . وهذا ما يحيي شجاعة الرجاء في نفوسنا ، لاننا وان كنا قد اخطأنا نجد ان الله يحبنا ولا يتركنا .

ولقد كان غرض الله ان يعيد الينا طبيعتنا الحقيقية كبشر ، فنحن لا نقدر ان نكون صالحين الا اذا كانت لنا علاقة صحيحة مع الله . وها هو المسيح يموت ولكنه يقوم ثانية . ويفسّر لنا الرسول بولس هذا بأنه يترتب علينا نحن ايضاً ان نموت ثم نقوم ثانية . وهذا معنى المعمودية اننا نموت بالمسيح واننا ندفن معه ، ومن ثم نقوم معه الى حياة جديدة كما هو موضح في رومية ٦ : ١ — ١١ . وهذا يسهل فهمه عندما تتم المعمودية على طريقة التغطيس ، حيث يغمر المرء بالماء الذي ينوى تعميده به .

ويتحدث بعض البسطاء عن هذا كانه موت . واذا ما سئلوا عن حياتهم الاولى يجيبون بان تلك الحياة قد انطوت ، وانهم قد ماتوا من اجلها . ولكن ما هذا الموت الذي يتحدثون عنه ؟! ومن اجل ماذا يجب ان نموت ؟! والجواب على ذلك هو موت الارادة الشخصية . فيسوع تنازل عن ارادته الشخصية ليتمم ارادة ابيه الذي في السماوات . «لاني نزلت من السماء ليس لاعمل مشيئتي بل مشيئة الذي ارسلني» (يوحنا ٦ : ٣٨)

ويقول ايضاً « وطعامي ان اعمل مشيئة الذي ارسلني واتمم عمله » (يوحنا ٤ : ٣٤)

*

وليست الخطية سوى ان نضع ارادتنا لتعاكس ارادة الله ، فنعمل ما نريد عمله لا الذي نعرفه انه يتمشى مع ارادة الله . وبهذا نجعل انفسنا مركز عالمنا عوضاً من ان نجعل الله هو المركز الحقيقي . ومن اجل هذا التصرف الخاطىء ترتب علينا ان نموت ونقوم ثانية . والمسيح ارانا بموته كيف يجدر بنا ان نموت ، ومن ثم بقيامته من الاموات اعطانا الرجاء بان نقوم ثانية الى حياة جديدة ... واذا ما وثقنا به ، وفسحنا له المجال بان يعمل فينا فهو بلا شك يجعل هذا الموت الداخلي والقيامة الداخلية حقيقية في حياتنا . عند ذاك نشعر باننا اصبحنا خليقة جديدة ، واننا قادرون لان نطيع الله ونعمل ارادته .

كنا ذكرنا ان الله لا يتغيّر ابداً ، وان ارادته تعمل دائماً لخيرنا ، وقلنا ايضاً ان الله يرغب في ان تكون له صلة مع الناس الذين اختاروا ان يحبوه ويطيعوه . وبهذا يسهل علينا فهم معنى هذا القول بان الله هو محبة ، وانه لا يتركنا وانه ان بقينا محافظين على ولائنا له فانه يرحب بنا الى سمائه . وما السماء سوى ذلك المكان الذي فيه نتمم ارادة الله دائماً . فنحن نصلي يومياً « لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الارض » .

ولا شك في ان الجميع يجدون السعادة في ذلك المكان المنشود ، اذ ان ارادة الجميع تكون متناغمة مع ارادة العلي . فهناك نجدهم يعملون ما يريدهم الله ان يعملوا ، ولا عجب ففي عمل ارادته سرور وسعادة .

والفرق الجوهري بين العالم وبين السماء هو اننا في هذا العالم لا نعمل مشيئة الله كاملة . فمن طبيعة المغناطيس ان يتجه الى القطب الشمالي بيد انه اذا وضعت قطعة من الحديد او الفولاذ بالقرب منه فانه حالاً يميل عن جهة الحقيقة . وهكذا فالارادة الانسانية انما نزوعة لان تحيد عن الله .

ولا يخفى اننا انما نعيش في عالمين : عالم محبة الله وخدمته ، وعالم الناس الذي فيه ننسى الله ونتلهى بمسراتهم . ومن اجل ذلك وُجد هذا التصادم في حياة المسيحي . ومن اجله نحن مدعوون لان نجاهد الجهاد الحسن ... وما دمنا على قيد الحياة فاننا نجد انفسنا في حاجة ماسة الى محبة الله . وهذه المحبة انما تأتينا على شكل نعمة – ورحمة – وغفران . وها نحن نحتاج الى مثل هذا الاله الرحيم الذي تجسّمت محبته لنا في موت ابنه يسوع المسيح على الصليب .

ماذا يختار الناس !

ان الله يحب جميع الناس على السواء وارادته هي ان يعملوا

الصلاح دائماً . وهل معنى هذا ان الله في النهـاية يجلب الجميع اليه ، وان هؤلاء كلهم يجدون انفسهم في مملكته الازلية ؟! ان الكثرة من المسيحيين يعتقدون هذا الاعتقاد وينـادون بان محبة الله لا تسقط ابداً ، وانه وان كان البعض يقاومون الله لمدة فانه لا بدّ لمحبة الله ان تتغلب عليهم في النهاية بحيث تجلب الجميع اليه . ولا بدّ من التساؤل ان كان هذا هو تعليم العهد الجديد ؟!

اجل ان المسيح يدعو الناس الى الاختيار وانه يجعل الاختيار عملاً مهماً ، وكلماته واضحة بانّ هذا الاختيار له نتائج في العالم الثاني ايضاً «لانه ماذا ينتفع الانسان لو ربح العالم كلّه وخسر نفسه» . وفي الكتـاب تصريحات متعددة عن حكم الديان ، وعن الهـلاك . وهذه الامور وجب ان تؤخذ بعين الاعتبـار والاهتمام .

وعلينا ان نتذكر ايضاً الحرية التي اعطانا اياهـا الله . ومما لا ريب فيه ان الله احكم منا بكثير ، وقد لا تتوضح خططه لنا ، ولكنه ما برح يعمل ليجلب اولاده الى موطنهم الحقيقي . وان شيئاً واحداً لن يفعله الله وهو جبر هؤلاء الى المجيء قسراً الى بيته ، اذ ترك لنا الحرية حتى رفض قبول هذا الطلب الخيّر .

واذا اراد الله ان يظهر نفسه بعد موتنا بطريقـة جديدة بحيث يقدم لنا فرصة جديدة للرفض او القبول ، فالشيء الواضح

هو اننا نظل محتفظين بقدرة الاختيار هـذه ، ونظل قادرين ان نرفض ساعة نشاء وان نقول لا اذا شئنـا . ولا نخال عملية الموت تغيّر شيئاً من هذا الوضع فالذين يظهرون رفضهم في هذا العالم لا يُتوقع منهم ان يظهروا قبولهم في العـالم الآخر . وقد يواصل الفرد رفض الله حتى يقول له الله في النهـاية انك قلت لا لآخر مرة ، ولست تستطيع ان تقول الان نعم . وأملنـا بان لا يفقد النـاس قدرتهم على قول نعم . وربما كان ذلك الفرد واحداً منا ، ولا يخسر احد في هذه الحالة سوانا . ولولا نعمة الله التي تتداركنا لبتنا ضالين ، وعشنا خاسرين .

*

ويخيل الينا ان هناك نفراً من الناس لا يريدون ان يتخذوا في دنيـاهم قراراً كالذي يتطلبه منهم العهد الجديد خشية ان يلحقهم ضرر من وراء افكارهم الاثيمة التي علقت بهم بتفهمهم لمعنى الجحيم . ولشدّ ما فسّر بعض المسيحيين معنى الجحيم تفسيراً حرفياً اذ تصوره مكاناً مرعباً معداً للعذاب وللنار . وانهم لمّا لم يستطيعوا التمسك بمثل هذه الافكار الخاطئة اخذوا يتساءلون : هل هناك نظرة اصحّ من هذه نتمسك بها ؟ !

ومما لا ريب فيه ان السماء معناها ان نكون مع الله . . . وان نصبح مثله . . . وان نسير بعمل ارادته . وليس الجحيم سوى

الابتعاد عن الله ، والانحباس ضمن نطاق الذات التي فيها لا يفعل المرء شيئاً سوى ارادته الخاصة به . فالرجل الكامل هو الذي يكون على صلة تامة مع الله ، في حين ان الانفصال عن الله معناه فقدان رجوليتنا ، واضاعة كل مزايا الرجولة وخصائصها . وان مملكة الله تتطلب منا طرح الشرّ جانباً ، وان كان هناك من لا يسمحون لله ان يحررهم من الشرّ فسيجيء يوم يضعهم الله في مكان لا يستطيعون فيه ايذاء انفسهم ، او ايقاع الضرر بغيرهم . وليس من اليسير تخيل ذلك المكان ، اذ ربما كان هذا التعبير ليس الذي يجب استعماله عندما نرغب ان نشير الى مكان غير مرغوب فيه . ولكن في وسعنا ان نتأكد ان ذاك هو احسن مكان لاناس مثل هؤلاء الذين يدركون . فانهم لا بدّ لهم ان يتحققوا ان هذا هو احسن مكان لهم .

نصرة المحبة

« الله محبة » : ولا مراء فالمحبة هي اعظم ما في العالم . ولا يخفى ان الله بقدرته يستطيع ان يهلكنا بلحظة واحدة ، بيد انه في ساعة هلاكنا نستطيع ان نقول ان ارادتنا ما برحت ملكاً لنا ، اذ اننا حتى في ذلك الموقف الرهيب نستطيع ان

تقول لمن يهلكنا : لا . وانما نرى الله المحب ، وهو على الصليب يضع قوته جانباً ، فيتقدم الينا بوداعة وبضعف . وبالنظر الى الصليب نستطيع ان نطرح كبرياءنا جانباً ونقبل محبته ، بحيث نجعل تلك المحبة تشعل قلوبنا . وهذا بلا مراء هو انتصار كبير لله .

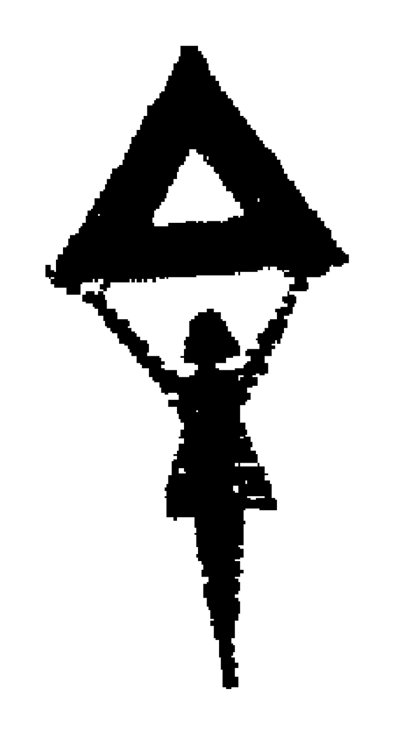
فالنصر يواكب المحبة ...

لان المحبوب الاكبر قد صُلب من اجلنا .

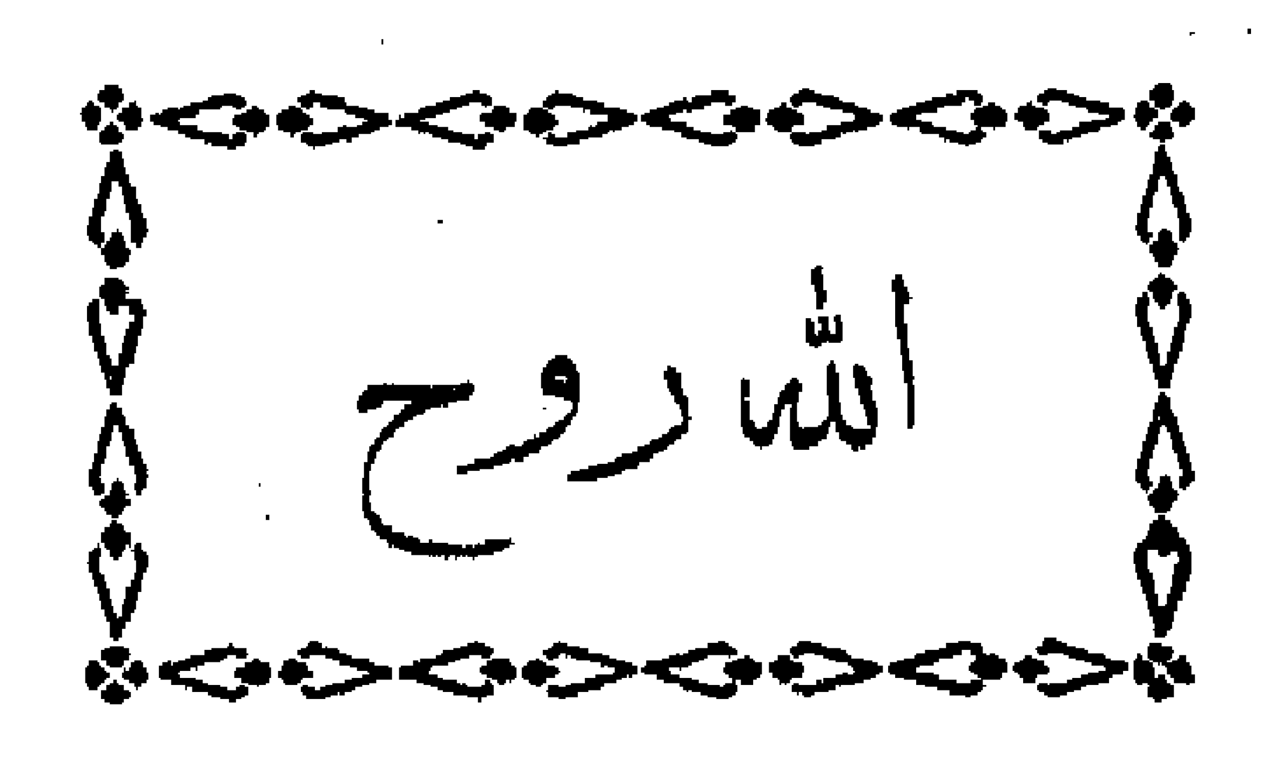
وانما لنلمس في حياة الكنيسة وتاريخها وفي اختباراتنا الخاصة الطريق الذي توضحت فيه محبة الله عندما تجسدت في موت المسيح ، اذ هناك احرزنا النصر على الكراهية ، والقسوة ، والانانية . وهذا يوطد فينا الايمان واليقين بان محبة الله وملكوته لا بدّ من ان ينتصرا في النهاية ، بالرغم من كل شيء معاكس . وسوف تكون مملكة الله الابدية المملكة التي تسود فيها المحبة . وهناك يخدمه خدامه بسرور لانهم يحبونه ، ولن يكون للمحبة ثمة نهاية لمن يعتادها ويتمرس عليها . ولنعلم اخيراً انه حيثما تكون المحبة فهناك يكون الله .

واذا كانت الكنيسة هي المكان الذي يسكن فيه الله

على الارض فلا بدّ لها ان تكون مكاناً تتجسم فيه المحبة اذ يتاح لنا عن طريقها ان نرى على ارضنا بداية لملكوت الله — ذلك الملكوت الذي سيتحقق تماماً متى زال كل شرّ نهائياً . فيتحقق النصر لله الازلي **الذي هو الكل ، والسيد على الكل .**



الفصل الخامس





الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي ان يسجدوا (يوحنا ٤ : ٢٤) . ويسرنا ان يكون هناك كتاب آخر في هذه السلسلة يتناول البحث عن الروح القدس . ويهمنا الان ان ندرك ان الله هو كائن روحي ، ولنحصر تفكيرنا فيه من هذه الناحية فقط ... وقد نتساءل باديء ذي بدء : ما هو الروح ؟! وقد يكون اسهل في بعض الاحيان ان نجيب على هذا السؤال لتحديد ما ليس روحاً ...

غير خاف ان حياتنا انما تقررها عوامل ثلاثة لا سبيل الى التملص منها ١ : **عامل الزمان** ٢ : **عامل المكان** ٣ : **المادة** في حين ان الروح لا تتقيد بمكان او زمان او مادة ...

لجسمي لا يستطيع ان يكون في مكان واحد ... في وقت واحد . فاذا كنت اكتب كلمات هذه الصفحة في غرفتي في بلاد سويسرا فلا يمكني ان اكون بمكان آخر . وها هي شمس الخريف بدأت ترسل اشعتها تدريجياً لفجر ذلك اليوم على غرفتي فنهضت من فراشي ، فانا موجود في تلك الغرفة وليس في مكان آخر ... واني لست مرتبطاً كل الارتباط بجسمي اذ ان افكاري تستطيع ان تمتد الى اماكن بعيدة والى مراكز اخرى .

وفيما انا اكتب الآن افكر باصدقائي في الهند ، وفي افريقيا الذين آمل ان يقرأوا يوماً ما هذه الصفحات التي اكتبها هذه الساعة . ولا تنقلني هذه الافكار من مكاني لاني انا افكر بدماغي ، ودماغي مرتبط بجسمي ، ولا بدّ له ان يظل في المكان الذي فيه جسمي .

فانا موجود في هذه اللحظة ، واملي كبير بان اعيش لانهي كتابة هذه الصفحة ، بيد انني لا استطيع التأكد او الجزم بأني ساعيش الى ما بعد وقتي الحاضر ، لان هذا ليس في يدي . ولست ارتبط بالحاضر اذ ان اجنحة افكاري تستطيع ان تحملني الى الماضي ، فاتذكر بعض ما تعلمته عن المسيح طيلة الاربعين سنة التي حاولت فيها ان اخدمه ، وان اظهره في هذا الكتاب . كذلك ففي وسعي ايضاً وضع الخطط للمستقبل مع

العلم اني لست متأكداً باني قادر ان انفذ هذه الخطط ... بيد انني اعرف شيئاً واحداً هو انني استطيع العمل في هذه اللحظة التي اعطاني الله اياها .

ولا غرابة لجسمي لي ، ولم يكن هذا تفكير الاغريق الذين اعتقدوا ان المرء ان هو الا خلاصة فكره وروحه ، وليس الجسد سوى مثوى للنفس لمدة من الزمن محدودة ، اذ لا بدّ للنفس يوماً من الايام ان تهجره بيد ان هذا ليس بتفكير المسيحيين لان الكتاب المقدس يعلمنا بان المرء انما يتكوّن من جسم وفكر وروح ، وهذه الثلاثة هي عطايا من الله وعلينا ان نتقبلها بشكر واتضاع .

واذا ما تطلعنا الى الله وجدنا الفرق بين حياته وحياتنا . فالله ليس مقيداً بمكان ، وليس في وسعنا ان نقول عنه انه موجود في بقعة معينة ، وليس صحيحاً كذلك ان نقول عنه انه موجود في كل مكان ، لان ذلك يستدعي تقييده في مكان ما . وكل ما نستطيع ان نقوله ان الله يعمل في عالمه الذي خلقه حسبما يريد . « اين اذهب من روحك ، ومن وجهك اين اهرب . ان صعدت الى السماوات فانت هناك ، وان فرشت في الهاوية فها انت » (مزمور ١٣٩ : ٧ — ٨) . ولا تخفى على الله خافية ،

وان كنّا نستطيع ان نخفي ما في افكارنا بعضنا عن البعض غير ان هذا غير مستطاع عن الله . فهو يعرف افكارنا ويدرك ما في عقولنا بالتمام .

☆

كذلك نقول ان الله ليس هو الزمـــان . لان من علامات الزمان التغيير والتبديل . فانا لست ما كنت عليه البارحة ، اما الله فلا يتغيّر وهو هو الامس واليوم والى الابـــد . . . ويستعمل الله الوقت ليدربنا لتحقيق اغراضه وغاياته وانا نجد الله يظهر في موكب الزمن عن طريق تجسده بيسوع المسيح ، فهنـــاك نزل الاله ليعيش عيشة البشر . وعندما نمـــا المسيح وانتقل من طور طفوليته الى رجوليته نجد الاناجيل تستعمل كلمة اصبح . . . ونما .

بيد ان الله ما برح كما هو — اذ هو يعلو عن الزمن من حيث انه يرى النهـــاية منذ البداية . واذا تغيّر كل شيء فالله لا يتغيّر ابداً .

وخلق الله المادة ، وحفظها في هذا العالم ، وكان هو فيهـــا وجزءاً منها . وهذا ما يمنعنا ان نخلق صورة عن مخلوق وندعوه الهاً . ونحن لا نعرف تماماً كيف كانت ملامح المسيح عنـــد وجوده على الارض . وما تلك الصور البديعة التي اوجدتها عبقرية الرسامين الا صور ابدعها خيالهم . فنحن ندرك يقينا ان لا صورة

من هذه الصور ترينا كيف كان يسوع حقيقة ، واذا ما صلينا له فلا بدّ ان تكون في مخيلتنا صورة ما عن هذا الاله ، ولكن لا صورة مما نتصورها بعقولنا تعطينا الرسم الكامل لله . وكلما تعلّمنا الصلاة اكثر واحسن لا نعود في حاجة الى مثل هذه الصورة الخيالية .

الانسان بين عالمين

وما قلناه عن الانسان والله يجعل موقف الانسان صعباً في هذا العالم . فهو صاحب جسم مادي ، اذاً هو جزء من هذا العالم المادي . وهو يعرف الله لذلك فليس كله يخص عالم المادة . ومن اجل ذلك دعي الانسان البرمائي العظيم . "The great Amphibium" والحيوانات البرمائية تعيش كما لا يخفى في الماء وعلى اليابسة . كذلك ففي وسع هذا الانسان ان يوزع حياته بين عالمين .

واذا شاء الانسان نجده يعيش كحيوان ماهر . وهذا ما يحياه معظم الناس اذ هم لا يجعلون الله في قرارة تفكيرهم . وهم يفكرون ان هذا العالم المادي هو العالم الوحيد الذي يستحق عنايتهم ، بيد ان مثل هؤلاء الناس لا يشعرون بالسعادة لانه بالرغم من غناهم ونجاحهم نجد قلوبهم ملآنة من القلق واليأس . وما ذاك الا لان فراغاً في اعماق قلب الانسان ما برح موجوداً لا

تملأه سوى المحبة . فمحبة الله هي وحدها قادرة ان تعطي السلام وان تهب السعادة للنـاس . واذا لم يحب الله البشر ظل ذلك القسم من طبيعتهم فارغاً . والغريب انـه لا يطول الامد حتى يتسرب الحقد والخوف واليأس وغيرها من القوى الشريرة لملء ذلك الفراغ وللتملك فيـه . من هذا يتضح ان الانسان لا يستطيع ان يعيش بدون محبة الله .

وعلى غرار ذلك لا يستطيع الانسان ان يعيش كمن لا جسم له ، او ككائن شابه الملائكة او عاش كما يعيش الله ، ذلك لان الانسان بشر وعليـه ان يأكل ويشرب ، ويعمل ويرتاح ، ويبيع ويشتري ، ويتزوج ويموت . ولا يتأتى سلامه عن طريـق التهرب من عالمه ، بل عن طريق العيش فيه كولد من اولاد الله . وهكذا يستطيع المسيحي ان يجمع بين هذين العالمين ، فيعيش فيهما في وقت واحد ، لا يوفّق بين مطاليب الجسد ومقتضيات الروح .

ولا بدّ من وقوع تصادم في حياة الانسان ، « لان الجسد يشتهي ضد الروح ، والروح ضد الجسد وهذان يقـاوم احدهما الآخر حتى تفعلون ما لا تريدون » (غلاطية ٥ : ١٧) ولا مراء فالروح يرغب ان يعيش بموجب مشيئة الله ، في حين ان الجسد الذي هو قسم منا يرغب ان يعيش بشكل يُحسب فيه الله غير

موجود ... واذا ما سمح الانسان لجسده ان يسيطر على روحه فانه يتدنّى الى مرتبـة الحيوان . ولكنه اذا ترك لروحه ان تتحكم فيه اقترب من طبيعة الحقيقة الكاملة . وعندما تسيطر الروح فعنـد ذاك يظهر الانسان الحقيقي اللائق بملكوت الله . ولسنا نعرف انساناً عاش مثل هذه الحيـاة المثالية سوى يسوع المسيح .

غلبة الروح على الجسد

والان نستطيع ان نجيب على هذا السؤال : ماذا يعمل الله في العـالم ؟! فقد ذكرنا ان الله يعمل – والان نصرح قائلين بان غرض الله انما هو تحقيق انتصار الروح على الجسد . ولطالما وجدنا في هذا العالم الاشياء المخلوقة على مراتب ، بحيث كانت الاشياء العالية اكمل من التي هي ادنى منهـا . وتبدو الامور التالية في عالمنا مترتبة كما يأتي :

اولاً : اشياء مثل الحجارة والصخور فهذه توجد ولكنهـا لا تنمو ولا تتنفس ، ولا تتكاثر عن طريـق التناسل ...

ثانياً : اشياء مثل النبات ، تعيش وتتناسل ولكنهـا لا تتحرك ...

ثالثاً : كائنات مثل الحيوانات والطيور ، والاسماك تعيش ، وتتحرك ، وتتناسل ، ولها مقدار محدود من الذكاء .

رابعاً : كائنات كالانسان تعيش وتتحرك ، وتفكر وتتكلم وتضع الخطط وفي وسعها ان تصدر احكاماً خارجة عن نطاق ذاتها ...

خامساً : جماعة ابناء الله الذين بالاضافة الى تلك الامور التي اختص بها الناس تجدهم يعرفون الله ويحبونه ويخدمونه . وسرعان ما تحولوا عن طريق حياتهم هذه الى ارواح ..

وبتعبير مختصر آخر نستطيع ان نقول هناك : صعيد المادة – وصعيد الحياة – والنفس – والعقل – والروح . وما يهم الله في هذه المرحلة من مراحل تحقيق اغراضه على الارض هو ان يتحقق النصر للروح على الجسد ، وذلك بان يتمرّس الناس ان يعيشوا كارواح . وحياة الروح هذه في مستطاع الجميع . ولكن ليس كل الناس يختارون ان يعيشوا كاولاد لله ، لان الكثرة منهم يؤثرون عيشة الجسد .

وتعترض هذه المرحلة في تحقيق غرض الله صعوبات اكثر مما توجد في المراحل السابقة ، لان الحرية اصبح لها عمل في هذا المضمار . وها هو الله يدعو الناس اليه ، ولكنه لا يجبرهم على

تلبية ندائه . فلا نستغرب والحالة هذه ان نرى خطة الله في هـــذه المرحـــلة تسير سيراً بطيئاً ، بحيث تتعرض للنكبات وتستهدف للاخفاق وهذا ما نختبره نحن في انفسنا عندما نحاول ان نخدم الله ، وهذا نجده ايضاً ظاهراً في العالم الذي حولنا .

واذا تتبعنا انتشار رسالة الانجيل في العـــالم نجد ان خطة الله تسير في تقدم مستمر . فهي تتدرّج من القليـــل الى الكثير ، لان الله يختـــار البعض ليعدهم لنشر رسالته الى الكل . ويشبه هذا البستاني الذي يبذر البذور في الاحواض ثم ينقل الفسائل الصغيرة ليزرعها في حقله الكبير الواسع ...

الله يعمل من القليل الى الكثير

ولنتساءل : ماذا يعني هذا المبدأ ان الناس يعبدون الله بالروح والحق . فاذا كان كل الناس قد عبدوا الله في كل مكان فعندئذ يبدو ان كل مكان مقدس ولا تعود ثمة حاجة لوجود اماكن معينة للعبـــادة ، كما كان للعبرانيين في الهيكل المقدس في مدينـــة اورشليم ... وكذلك فما دام الله معنـــا في كل وقت فلا ضرورة لتخصيص يوم واحد من الاسبوع لخدمته ... وكذلك مـــا دام جميع الناس يسعون لمعرفة الله وخدمته فلا تعود ثمة حاجة الى فئـــة خاصة من الناس — اي لرجال الدين ليقوموا بخدمته . ولا شك ان

جميعنا يتوق الى الوصول الى حالة مثل هذه حيث نرى فيها سماء جديدة ، وارضاً جديدة .

وقد نكون سائرين في طريق السماء ، غير اننا لم نصلها بعد . ولشدّ ما الغي يسوع هذه العادات والمراسيم التي نص عنها العهد القديم . ولكننا بالرغم من ذلك نجد انفسنا نحن المسيحيين نقيم الكنائس للعبادة ، ونحافظ على قدسيّة الاحد ، ونفرز القسوس والمعلمين من اجل الخدمة المقدسة . وهل نعمل هذا لنقدس بعض الاماكن ونترك الباقي بدون تقديس ...؟! وهل يليق بنا ان نتصرف في ابهاء الكنيسة كما لو كنا في حضرة الله في حين اننا في الخارج نعمل ما نريد وما تمليه عليه اهواؤنا ..؟! وهل نذكر الله يوم الاحد فقط ثم نعود فننساه بقية ايام الاسبوع ..؟! ونحن لا نفرز جماعة من الناس ليحصلوا على القداسة بالنيابة عنا ، في حين نبقى نحن بعيدين عن نور القداسة ...!

*

ان الغرض الذي من اجله وجدت هذه الامور هو عكس ذلك تماماً . فاذا حاولنا ان نشعر بان الله غير حاضر معنا في الكنيسة فما ذلك الا لكي نحمله معنا الى كل مكان نذهب اليه ... وكذلك اذا كرّسنا بعض الوقت يوم الاحد لنكون برفقة الله ، فما ذاك الا لكي نشعر بحضوره في كل يوم من ايام الاسبوع ... وعلى غرار ذلك ان افرازنا نفراً من الناس لخدمة الله ليس الا لكي يرونا طريق

الله وليساعدونا على السير فيه . وهكذا نجد ان البعض قد خُصص لله لكي يتقدس الكل عن طريقه .

واننا نرى هذا الاسلوب ينسجم على كل ما صنعه الله في هذا العالم . وهذا هو مبدأ الاختيار والانتخاب الذي سار عليه القدير . فالله يختار ابناء الكنيسة كي ينتشر الانجيل عن طريقهم الى كل اطراف المعمور . وكذلك يتجلى هـذا الاسلوب باروع مظهر في قيامة المسيح ، فقد قام السيد من الاموات ليتسنى لمن يؤمنون به ان يختبروا قوة قيامته . وهو وان كان واحداً فعن طريقـه يستطيع الجميع ان يحصلوا على نعمة الحياة الابدية .

وفي اماكن عديدة من العهد الجديد نجد المسيح يدعى الثمر الاول . « ولكن الان قد قام المسيح من الاموات وصار باكورة الراقدين (كورنثوس ١٥ : ٢٠) وكذلك فقد اخبرنا ان المسيح كان مماتاً في الجسد ولكن محيي في الروح (١ بطرس ٣ : ١٨) وفي قيامته نجد بوضوح ماذا يحصل عندما يكون الروح متحكماً في الطبيعة الانسانية ، حيث تغدو كل حياة الانسان تحت حكم الروح . وقد عاش المسيح « بقوة من جهة روح القداسة » (رومية ١ : ٤) . حيث كانت ارادته متناغمة دائماً مع ارادة الله .

وهكذا يتضح لمن يحبون الله ويثقون به ويحاولون خدمته بانه عن طريقه لا يكون للموت الكلمة النهائية ، اذ قد يموتون ويدفنون

ولكن الموت لا يستطيع ان يؤذيهم لان حياتهم الحقيقية انما هي مستورة في الله ، والموت لا يستطيع ان يصل اليهـا . فالله روح واولئك الذين يحبونه انمـا يعيشون بقوة روحه ، لأن روح الله لا تموت ، وكذلك الذين يحبونه لا يموتون ايضاً .

*

غير خاف ان هنـاك اموراً كثيرة يقصر فهمنا عن ادراكها في جسد المسيح المقام . والقيامة انما حصلت مرة واحدة في التاريخ ولا تقدم لنا الاناجيل تفاصيل وافيـة عن شكل جسد المسيح . والذين رأوه بعد القيامة تعذّر عليهم فهم ما حدث . انما اتضح شيء واحد لهم وهو ان المسيح قد تغيرت ملامحه لدرجة تعـذر عليهم تمييزه بسهولة ساعة وقعت عليه ابصارهم . بيـد انهم عندما تميّزوه وجدوه نفس المسيح الذي عرفوه قبل موته . ولم يكن ثمة تغيير جذري فيه سوى انه تحرّر من بعض الاوضاع التي كان فيها ، وهو يعيش في دنيانا . فهو عندما تأنس كان له جسد مثل اجساد باقي الناس . وكان هذا الجسد يُرى في وقت واحد ، وبه كان ينتقل من مكان الى آخر ، غير انه بعد القيامة اخذ يظهر ذاتـه في اي وقت وفي اي مكان ، حسبا يريد ويشاء . ففي بعض الاوقات كان المسيح يظهر للعيـان ، وفي اوقات اخرى لم يكن لتراه العيون .

وعندما اظهر المسيح ذاته لتلاميذه لم يشعروا بانـه اتى اليهم

من مكان آخر ، بل انهم كانوا متيقنين انه كان معهم كل الوقت ، وانه ما برح ذات الشخص الذي عاش واياهم . فروحه لم تتغير وانما جسده هو الذي تغيّر لكي يتسنى له ان يخدم الروح بحرية اعظم من ذي قبل – وبالتالي فان هذا الجسد المتغيّر يغدو قادراً بان يعبّر عن الروح بطريقة جديدة .

كيف يعمل الروح فينا

انا نلمس عمل الرب فينا ولكن كثيراً ما يتعذر علينا فهمه ، اذ اننا لا نرى الله ولكنه رغم ذلك هو يجعلنا ان نحظى بانتصار الروح . ويسوع بعد قيامته لم يتغيّر . وكثيراً ما نميل الى التفكير انه بما ان الله واحد ، ونحن معرضون لارادته فلا بدّ ان تكون حياتنا متشابهة ، وتكون السماء مكاناً رتيباً . بيد ان الواقع اننا لا نرى الله يعمل عن هذه الطريق . . . والحياة الانسانية التي نحياها انما تسلب حرية الناس وتحوّلهم كدمى . . .

وما اكثر ما نرى رجال الاعمال يملأون الحافلات في المدن الكبيرة ، وهم في طريقهم الى مراكز عملهم فلا نرى فرقاً في طرائق عيشهم عن سواهم اذ هم يقرأون ذات الصحف التي يقرأها عامة الناس ، وهم يفكرون بذات الافكار . . . وكذلك اذا تطلعنا الى سكان القرى الافريقية نراهم لاول وهلة متشابهين في

خضوعهم لنفس العوائد والتقاليد ، فهم يفكرون بطريقة واحدة ، بيد ان الفرق يبدو عظيماً عندما يبدأ الفرد يدرك الله !

ولا يغدو الانسان انساناً الا اذا بدأ يدرك الله ويعرفه . فهذا الانسان الذي يعرف الله يبدأ يكوّن افكاراً لنفسه ، ويعتمد على ذاته ، فيشعر بانه مسؤول لله فقط وليس لما يفكره الناس حوله . « واما الرب فهو الروح وحيث روح الرب هناك حرية » (٢ كورنثوس ٣ : ١٧) واذا تملك روح الرب انساناً فان اول شيء يعمله ذلك الروح هو ان يعيد الحرية الينا لانه من المستحيل ان نصبح كاملين لله ، وان نستسلم بكليتنا الى ارادته ان لم تعط لنا حريتنا ...

ويحب الانسان عادة ان تكون جميع الاشياء على نسق واحد ، لانه يستطيع عندذاك ان يفهمها ويضبطها . وهذا يظهر في الانتاج المادي الذي هو على نسق واحد ، والذي هو احد مساوىء عصرنا ، غير ان الله يريد ان يُظهر كلاً بشكله المختلف ، من اجل ذلك لسنا نرى اثنين متساويين في عالمه . وليست الاوراق العديدة التي للشجرة الكبيرة الواحدة متشابهة كل الشبه في الشكل او المظهر ...

وقد خلقنا الله منذ البداية مختلفين بعضنا عن بعض ، وانه بروحه يحرّرنا ، بيد اننا نجد في داخلنا امكانيات جديدة وعطايا

سماوية متباينة ، وبهذا نغدو مختلفين بعضنا عن بعض اكثر من ذي قبل . وهذا ما يحول دون ان نصف عمل الرب فينا وصفاً تاماً ، او ندرك النتائج حق الادراك لان عمله غير مساوٍ حتى ولا في اثنين منا . ولكن هناك بعض الامور التي نستطيع ان نقولها والتي تنطبق علينا جميعنا .

واول هذه الامور هو ان الله الذي هو روح لا بدّ ان يتكلم مباشرة الينا فنسمع صوته . فالله يقول ويعمل . وقد تكررت هذه العبارة «**قال الله**» مئات المرات في الاسفار المقدسة وبلسان الانبياء . ويدعو المسيح جماعة الله الذين ورد ذكرهم في العهد القديم بقوله « الذين صارت اليهم كلمة الله » (يوحنا ١٠ : ٣٥) وفي العهد القديم اظهر الله ذاته لشعب ما ، واظهر كلمته لهم . وفي العهد الجديد يقول «لان الجميع سيعرفونني من صغيرهم الى كبيرهم» (عبرانيين ٨ : ١١) وان كان هذا الوعد حقيقياً فلنتأكد بان الله سيتكلم ، وباننا سنكون قادرين بان نسمع ...

ولشدّ ما تسبب ضرر كبير للكنيسة عن طريق اولئك الذين اعتقدوا ان افكارهم وتصوراتهم هي كلام الله . ففي القديم ظهر انبياء صادقون وآخرون كاذبون . وعلينا ان نحترس خشية ان نكون في استعمالنا هذا الكلام انما نحن نتكلم من انفسنا .

وهناك ثلاث طرق فيها يتسنى لنــا ان نمتحن ما هو كلام الله الناطق لقلوبنا وما هو الكلام الذي يأتينا من الخارج .

المحك الاول : هو عن طريق الكتاب المقدس ، وفي هــذا الكتاب نجد كلمة الله التي فيهــا يتكلم الله ، ونسمع صوته الحي ... وقد عاشت شعوب الارض بموجب تعاليم هذا الكتاب قرناً بعد قرن ، وقد اختبروه ووجدوه صادقاً ... وقــد دعيت محتوياته « كلمة الله » لانها حوت كل ما تحتاج النفس الى معرفته عن الله . وان الناس عندما عرفوا اشياء جديدة عن الله وجدوا ان فهمهم للحقائق قد توسّع وتعمّق . فالواعظ المسيحي لا يقتصر كلامه على صوت انسان عادي ، بل هو صوت انسان قــد تمرّن وتدرب على الوعظ واعطي السلطة من الكنيسة ليتكلم بالنيابة عنها . ولا ننسى الاصدقاء المخلصين المؤمنين الذين يساعدوننا للتفريق بين ما هو صادق وكاذب . فكثير من الافكار تأتينا فتظهر انها آتية من عند الله . وانما همنا الاول ان نسمع الله يتكلم وليس اناساً آخرين ...

المحك الثاني : هو انه ان كان الله روح فهو يعمل فينا عن طريق خدمة الناس . وفي طوق الله ان يستعمل طرقاً اخرى متنوعة للعمل في عالمه ، بيد انه اختار ان يعمل عن طريق رجاله . فقد اختار جلّ جلاله ان يكون رباً للجنس البشري قاطبة . ومن اجل ذلك

اختار ان يأتي الى عالمنا عن طريق يسوع المسيح فيشاطرنا حياتنا . ولقد اختار ان يجمع الناس في الكنيسة ليعملوا متضامنين ، وقد استنسب الله هذه الطريقــة للعمل عن طريق جماعة المؤمنين الذين دعاهم لخدمته . وهؤلاء الذين اختارهم قد امتلأوا بالروح لذلك لم يعد هناك مكان للجسد . وعلى الاثر نجد العدو الذي كان يسعى لفرض سلطــة الشر يتراجع ويتقهقر بحيث تصبح ارادة الله اداة لعمل الخير والخدمة الالهية . وقد دعيت الكنيسة جسد المسيح لانه عن طريقها نجد روح الله يعمل في العــالم . وليس من سبيل لهذا الروح ان يعمل الا عن طريق الجسد ، ومتى اصبح هذا الجسد خادماً مطيعاً للاعمال الصالحة عندذاك يكون هذا الجسد قد خضع لسلطة الروح السماوي ويكون قد تغيّر بقوة الله .

والمحك الثالث : وهو ان الله كروح يقرب النــاس بعضهم من بعض اذ ان غرض الروح توحيد جميع الاشياء في المسيح وجعل الكل واحداً معــه . ويقول الرسول « ليجمع الكل في المسيح » (افسس ١ : ١٠) وها نحن عن طريق الكنيسة نرى بداءة هذه الامور تتحقق والكنيسة هي خير مجتمع دولي حقيقي فيــه يشعر جميع الناس على اختلاف طبقاتهم واجناسهم انهم متساوون . وان كان هذا الروح الالهي يعمل فينا ، فاننا نعيش مع بعضنا البعض على طراز جديد . واننا نلاحظ ان البشر اجمالاً يبتعدون بعضهم عن بعض بفعل الانانية والكبرياء والخجل واختلاف اللغات والالوان ،

وتباين المراكز في الهيئة الاجتماعية . في حين ان العيش في ائتلاف مع اولئك الذين يحبون المسيح هي نعمة عظيمة . ولا مراء فالعيش مع المسيح يكوّن اعمق الصداقات واحسن المعيشات .

الانتصار النهائي للروح

وربما حصلنا على بعض هذه النعم في دنيانا غير كاملة . وهذا ما يؤملنا للحصول عليها كاملة عندما ينتهي الله من عمله الذي رسمه لعالمنا . ويخبرنا الكتاب المقدّس اننا عندذاك نصبح مثله ، « نكون مثله لاننا سنراه كما هو » (١ يوحنا ٣ : ٢) . عندذاك تتبدّد جميع الشكوك والظنون منا اذ اننا سنعرفه كما انه هو يعرفنا . وكل ما نستطيع ان نقدمه هي خدمة غير تامة اذ قد اخبرنا بان خدامه يخدمونه هناك حيث يرون وجهه (رؤيا ٢٢ : ٣ — ٤)

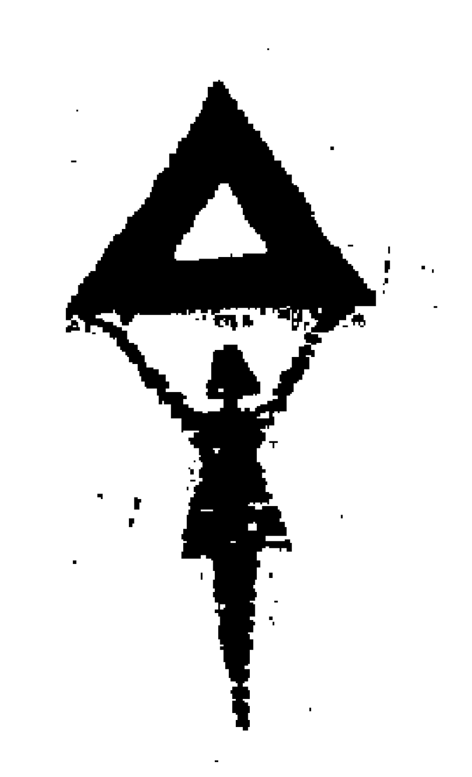
ولا يواكب الخدمة هناك تعب لان ما نقدر على عمله لا يكون اقل مما نرغب فيه . ففي العالم لا نحصل على اكثر من صلة غير تامة ، لاننا نعيش في الجسم كخطاة بينما هناك تدوم المحبة حتى بعد زوال الايمان والرجاء . فعندئذ نعرف بعضنا البعض معرفة اكمل ، لان صلتنا معه تتكامل بحيث نصبح كلنا واحداً في المسيح الذي يوحّدنا .

وماذا تكون النتيجة النهائية ؟! . فالرسول بولس يعبّر عنها

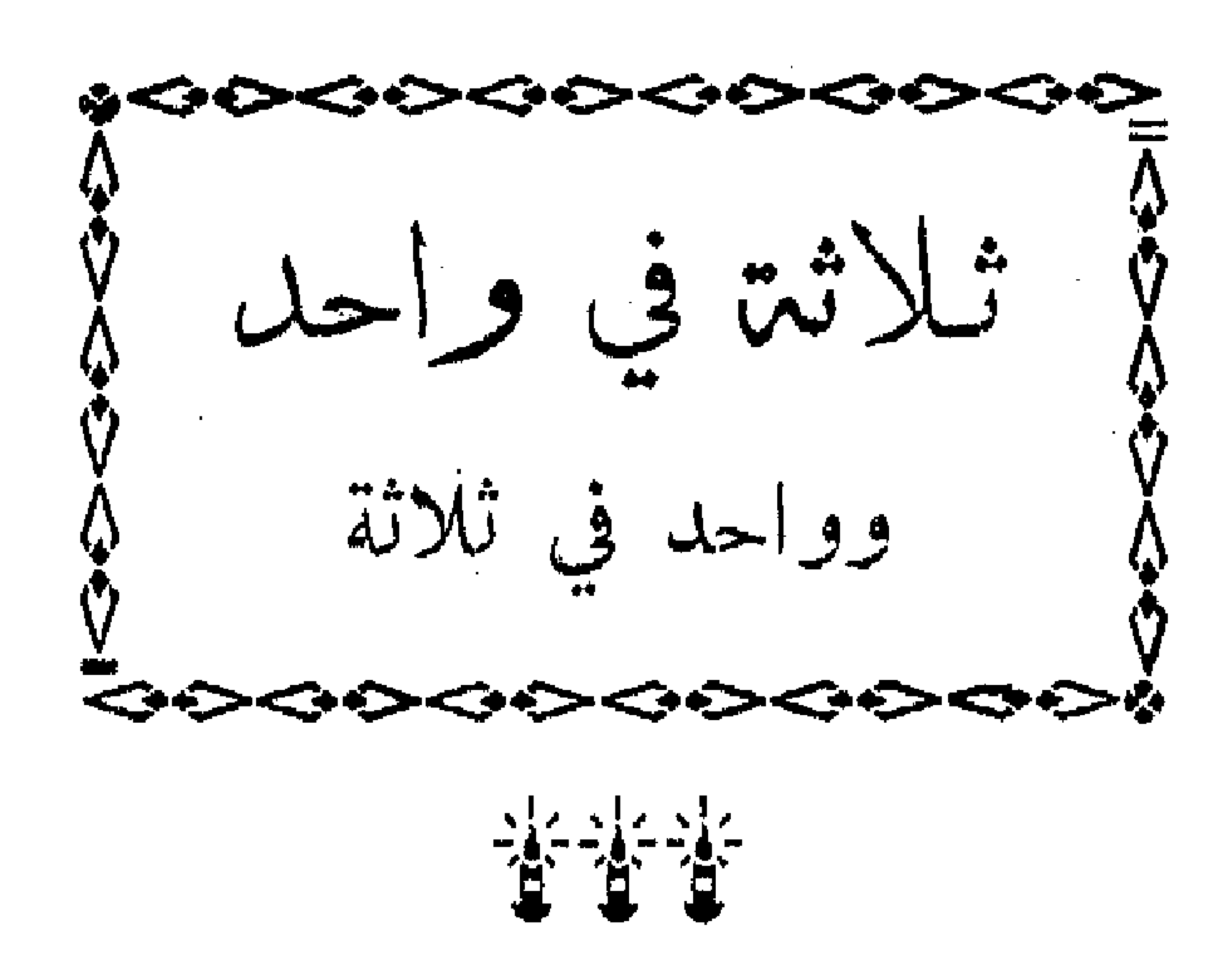
بكلمات محدودة قائلاً : « ان الله يكون « الكل في الكل » .

فكل شر سيطرد وكل عدو سيقهر . وسوف تجمع كل ابناء الله معاً ، فيزول كل نزاع او تصادم . وهذا هو معنى القول ان الله يكون « الكل في الكل » . وان جميع ما عمله الله منذ البداية انما يشير الى هذه الغاية . وكل ما نعمله عن طريق الخدمة والمحبة انما يشير ايضاً الى هذا الغرض السماوي . فالله هو البداية والنهاية هو الالف والياء (رؤيا ١ : ٨)

واننا عرفنا الله كبداية — واذا عشنا في رجاء الزمن الذي فيه يظهر الله لنا « الكل في الكل » فعندئذ نستطيع في النهاية وعن طريق الايمان ان نعرفه انه هو الغاية السرمدية والازلية . . .



الفصل السادس



ثلاثة في واحد

وواحد في ثلاثة

عقيدة الثالوث الاقدس

ذكرنا في الفصول السابقة ثلاث طرق مختلفة فيها نفكّر بالله . فهناك اولاً الله الذي يظهر ذاته للانسان كواهب للحياة . وهناك ثانياً يسوع المسيح الذي عن طريقه نستطيع رؤية هذا الاله الذي لا يرى . وهناك طريقة ثالثة يظهر الله فيها عندما نراه يعمل في عالمه فيغيره فندرك ان الله روح . وكان من جراء هذه الاختبارات الثلاثية ان صاغت الكنيسة عقيدة الثالوث ، واعلنت ان الله هو ثلاثة : **الآب والابن والروح القدس** ولكن هؤلاء الثلاثة هم واحد ...

وتتوضح عقيدة الثلاثة في الكاتيكسموس المدوّن في كتاب

الصلاة العامة للكنيسة الانكليكانية عندما يعترف المؤمن بانه :

اولاً : يؤمن بالله الاب الذي خلقه والعالم اجمع

ثانياً : بالله الابن الذي افتداه والناس اجمعين

ثالثاً : بالله الروح القدس الذي يقدسه ، وكل شعب الله المختارين .

وكثيراً ما نسمع شكوى وتذمراً بان هذا الايمان متشابك ومعقد وصعب الادراك . ومن اجل ذلك نجد الناس يتساءلون : أليس الانسب ان نقول ان الله واحد ، ولا ندخل اليه هؤلاء الشركاء . ويتحدى البعض هذه العقيدة بقوله : كيف نقول ان واحداً مع واحد مع واحد يساوي واحد . ان هذه حماقة فادحة ، اذ ان ابسط البسطاء يعرف ان الجواب يجب ان يكون ثلاثة . ويذهب فريق آخر بان فكرة الثالوث هي كفر اذ هي محاولة لاشراك آخرين مع الله ...

وان كان قد تعذر على البعض فهم هذه العقيدة فليس معناها انها غير صحيحة او غير حقيقية ... والكنيسة منذ البداية توصلت الى هذه العقيدة بان الله هو ثلاثة في واحد ، وواحد في ثلاثة ، مع العلم ان الاباء المسيحيين الذين انتهوا الى هذه العقيدة كانوا من اعظم المفكرين . ولولا تأكدهم من ان هذه هي افضل طريقة

للتعبير عن هذه الحقيقة لما التجأوا اليها ، وهي بلا مراء مستقاة من تعاليم الكتاب ومن اختبارات الذين يحاولون اتباع يسوع المسيح ، والايمان به كأبن لله .

*

ولا مراء فهناك امور كثيرة في دوائر حياتنا هي واحدة ولكننا نفكر بها من نواحي ثلاث :

فكل ما في الوجود له ثلاثة ابعاد : **الطول – والعرض – والارتفاع** . وكذلك نجد عناصر ثلاثة تكوّن اختيارنا : المكان – والزمان – والمادة . ومثلها حياتنا فهي مزيج من احساس – وتفكير – وارادة . وهكذا فاننا نجد كل فرد منا يخضع لهذه الحالات الثلاثية ، ولكنه بالرغم من ذلك فهو ليس ثلاثة اشخاص بل هو شخص واحد ...

وقد لا تقودنا هذه الامثلة لفهم حقيقة الله انما هي تساعدنا بعض المساعدة ، وتحملنا كي لا نتزعج بتلك الحجج السفسطائية التي تعنى بالكلام لا بوقائع الامور . وربما اضطررنا في هذه الابحاث ان نلجأ الى الكلام والى بعض العبارات ، فلا نهتم بهـا لقيمتها

الخاصة بل لانها ستكون معواناً لنا لنتحدث بحق عن الله الذي هو يوجد ... ويعمل ... ويحب ...

ولنبدأ بيسوع الناصري

واذا سألنا لماذا بدأ الناس يتكلمون عن الله انه ثلاثة في واحد ، فالجواب انهم انما عملوا ذلك ساعة قرّ رأيهم ورسخت عقيدتهم في يسوع الناصري . فقد عرفوا انه عن طريق يسوع انما هم يدركون الله كأب وسيد . واذا كان الله قد اظهر يسوع للعالم فمن يا ترى يُظهر الله ؟! لا يستطيع احد ان يفعل ذلك سوى الله ! وان كان المسيح قد اظهر الله لنا ، وكشف عن حقيقته فما ذاك الا لانه جاء من عند الله ليقود الناس الى الاله الذي يحبهم . « الله لم يره احد قط الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبّر » . (يوحنا ١ : ١٨) واذا كان المسيح هو الله الذي جاء ليعلن ذاته للعالم ، فلا بدّ ان يكون هو موجود قبل ان يجيء الى العالم . « في البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله ، وكان الكلمة الله » (يوحنا ١ : ١) ويقول الرسول : « انه من اجلكم افتقر وهو غني لكي تستغنوا انتم بفقره » .
(٢ كورنثوس ٨ : ٩)

ولا يعتقد جميع الذين يسمون انفسهم مسيحيين انه عن طريق المسيح جاء الله بنفسه الى العالم ليعيش عيشة بني البشر . فهناك

فِرَق تدّعي بان المسيح كان نبياً عظيماً ، وانساناً كاملاً وان الله سكن فيه ولم يسكن في احد سواه ، وانــه عن طريق تعاليمه اعطانا صورة حقيقية عن الله ، بيد ان هؤلاء يقولون بانه ضلال ان يتحدث احــد عن المسيح كاله . فهؤلاء لا يعترفون بالمسيح سيداً ومخلصاً مثلما يعترف به باقي المسيحيين . والذين يقولون بمثل هذا هم اتباع المذهب التوحيدي (Unitarians)

وفي الوسع ان نقول بانّ هؤلاء يحيون حياة روحية عالية ربمــا فاقت في كثير من الحالات حياة المسيحيين ، غير ان ذلك لا يغيّر الواقع الاليم بانهم ينكرون حقيقة عظيمة – حقيقة عاشت الكنيسة بوحيهــا على مدى الاجيال والسنين – انهم ينكرون الوهيــة المسيح ... ومن اجل ذلك سنلمس الفرق بين من يؤمن بالمسيح كاله وبين من ينكر الوهيته ...

ويظن كثيرون ايضاً بان الايمان المسيحي يتمركز في شخص المسيح الذي اخذ يتسلّق ذرى الحيــاة ، ليغدو الهاً بيد ان حقيقة الدين المسيحي لا تثبت ذلك ، لان الايمان المسيحي انمــا يتمركز حول اله احبّ العالم لدرجة رغب فيهــا ان ينزل بذاته الى عالمه ، فيشاطر ابناءه حياتهم ، ويموت من اجل خطايا الناس الذين احبّهم رغم انهم لم يحبوه .

ومن اليسير ان نجد الفروق متوضحة في المقارنات التالية :

١ : احب اله المسيحيين العالم كثيراً حتى جاء اليه ، واستعد ان يعيش بين مخلوقاته كانسان ، بينما اله الموحدّين لم يحب العالم ليتخلى عن سمائه فيرضى بان يعيش فيه كانسان .

٢ : ولقد ادرك اله المسيحيين عن طريق الاختبار معنى التعب والجوع والحزن والوحدة ، في حين ان اله الموحدين يدرك هذه الامور عن طريق العطف لا بالاختبار والتجربة .

٣ : ويعرف اله المسيحيين ما هي الخيانة والاهانة والصلب في حين ان اله الموحدين لا يعرف عن طريق الاختبار معنى هذه الامور . وعندما نبسط هذه الامور يتضح لدينا ان الله الذي نتحدث عنه ليس واحداً . ولما كنّا مسيحيين فنحن نعرف ان الله احبّ الخطاة حتى بذل ابنه من اجلهم ، وهذا امر غريب — واذا رضينا به وقبلناه فمعناه ان اله المسيحيين هو اله غريب . ولكن هذا هو عين ما اعتقده المسيحيون على مدى الاجيال . « ان الله كان في المسيح مصالحاً العالم لنفسه » (٢ كورنثوس ٥ : ١٩)

غير ان هذه النقاط ليست هي نهاية الامر اذ كيف نعتقد ان هذا صحيحاً ما لم يحدث شيء يشبه الاعجوبة ؟! وما من احد يستطيع ان يؤمن بهذا الاّ اذا جاءه الله بذاته ، وتحدث اليه

في اعماق قلبه ، واراه ان هذا صحيح حقاً . وهذا ما يعمله الروح القدس فينا . « الروح نفسه ايضاً يشهد لارواحنا اننا اولاد الله » . (رومية ٨ : ١٦)

الثالوث الموجود دائماً

وما قاد الناس الى التفكير بعمل الله الثلاثي وطبيعته الثلاثية هو الافتكار بيسوع المسيح . واذا نحن حاولنا تفهم بعض العبارات الموحية التي يستعملها الكتاب عن الله فلا بدّ لنا ان نهتدي الى هذا الثالوث الذي تتضمنه كثير من الكلمات العظيمة المستعملة . فنحن نتحدث عن اله يظهر ذاته . . . وهذا الاله لا بدّ ان يكون غير معلوم لاحد حتى يتسنى له اظهار ذاته . ولما كان البشر كائنات تعيش في نطاق الزمان والمكان فلا بدّ لهذا الاله الذي سيظهر ذاته للناس ان يتمّ ذلك في ظاهرة تاريخية تقع ضمن نطاق هذا الزمان والمكان .

ولشدّ ما تمّ هذا الحدث التاريخي بتجسد الله في يسوع الناصري فقد عاش المسيح كانسان في زمن معيّن من ازمان التاريخ ، وفي بقعة معلومة من بقاع الارض . ولكن حادثة تحصل في التاريخ ، ويطويها الزمان ان تكون ذات فائدة ان لم تستمر في وجودها ، وتكون ذات قيمة لنا في زماننا العتيد . ومن اجل هذا كان وجود الروح القدس ليتمم مثل هذا العمل .

ويقول الانجيل : « ذاك يمجدني لانه يأخذ مما لي ويخبركم » .
(يوحنا ١٦ : ١٤)

غير خاف ان الله هو اله يتكلم . ففي البدء قال الله « ليكن نور » (تكوين ١ : ٣) وقد نُعت المسيح (**بكلمة الله**) (يوحنا ١ : ١) ولكن ما معنى هذه الكلمة ؟! ان كل كلمة حيّة وحقيقية لها ثلاثة اشكال . فهذه الكلمات التي اودعها هذا الكتاب لا يتمكن فصلها عني اذ هي جزء من شخصيتي . وقد اكون كتبت هذه الفصول في بضعة ايام انما ما هو مودع في كلماته افكار لازمتني مدة طويلة ، واختبارات ومحاولات لمعرفة الله رافقتني مدة تزيد عن النصف قرن . فقد توجد الكلمات في ذهن الكاتب لكنها لا تكون معلومة عند احد سواه لانها لم تدوّن بعد . فهي كلمات خفية ومن اجل ذلك تجد الكاتب يجلس على كرسيه ويغلق عينيه ليرتب افكاره ، وينتقي الكلمات التي بها يدوّن تلك الافكار والخطرات .

واتصور اناملي تمرّ برفق على الالة الكاتبة لاجسّم هذه الكلمات التي ثارت في ذهني واحوّلها حبراً وورقاً ، واصوغها في شكل كلمات منظورة . ولا يكفي للكلمات ان تصبح منظورة بل هي اذا ما تليت اخذت شكلاً صوتياً وبذلك تصبح

كلمات مسموعة . ولا بدّ لهذه الكلمات ان تنتقل الى ذهن السامع لتصبح جزءاً منه ، فاذا كانت كلمات مثيرة وحيّة فانها تساعد سامعها على خلق وتكوين افكار جديدة .

وهذا يوضح لنا ما نعنيه عن كلمة الله . فهناك « كلمة الله » المخبوءة عن ذلك الاله المجهول . ثم جاءت « كلمة الله » المنظورة والمسموعة بيسوع المسيح الذي ظهر بالجسد . واخيراً ظهرت « كلمة الله » عن طريق الروح القدس الذي يحيا فينا ويمكث معنا ، ويعلّمنا وينوّرنا ، ويعطينا الافكار الجديدة عن الله – تلك الافكار التي هي افكارنا وافكاره ، لانها كانت اولاً افكاره .

*

واذا تساءلنا ماذا يحدث عندما نصلي ؟! ولمَ نرغب ان نصلي ؟! والجواب اننا لا نشعر باثر الصلاة ان لم يكن الروح القدس عاملاً في قلوبنا ، ومحوّلاً افكارنا نحو الله الذي نحن خاصته . والروح القدس هو الذي يملي الكلمات علينا ، ويؤلف الصلاة في قلوبنا ساعة يتعذر علينا ايجاد كلمات للتعبير عنها .

وقد نتساءل ايضاً وكيف يتسنى لي انا الخاطىء ان اصلي لله بدون خوف ؟! والجواب : ان الخاطىء لا يستطيع ان يأتي الى عرش النعمة الا عن طريق المخلص الفادي ، فيسوع اصبح واحداً فينا لكي

يصالحنا مع الله . وهو يقول لنا انّ خطايانا مغفورة وانّنا عن طريقه نستطيع الوصول اليــه بدون خوف كاولاد لله ، لا كعبيد . ونحن انمــا نصلي لله الآب الذي هو مصدر وجودنا والذي به نحن نحصل على السلام القلبي .

وما دمنا من طينة البشر فليس امامنا سوى الكلمات البشرية لنستعملهــا في التعبير عن الله . ونحن نذكر الله والابن والروح القدس كانهم كائنات منفصلة ، بيد ان الكتاب المقدس يعلّمنا ان نفكر بهؤلاء كوحدة . وماذا يعمل المسيح في عالمنــا اليس انه ينفــذ مشيئة الآب السماوي . واننــا نجده دائماً يصرّح بذلك فيقول انه المرسل من عند الله . وان غرضه دائماً ان يشير الى ابيه السماوي ومن اجل ذلك نسمعه يقول : « ليس احد يأتي الى الآب الا بي » (يوحنا ١٤ : ٦)

وروح المسيح متناغمة مع روح الله ، وعمل الروح القدس ليس الاّ تكميلاً لعمل المسيح ، لان هذا الروح انما يمكث مع النــاس ويجعل المسيح حقيقة حيــة لاولئك الذين لم يروه قط . واننا لا نستطيع ان نفكر بيسوع بدون ان نفكّر بالروح الذي يجعــله حقيقة لنا . ولا نستطيع ان نفكر بالروح ايضاً بدون ان نفكر بالاب الذي ارسله . وبيسوع الذي يعمل لكي يجدد حياتنا ويجعلنا على شاكلته ..

ومن اجل ذلك قال بعض الناس اننا نعرف الله بطرق ثلاثة اذ انه رأى اظهار ذاته بثلاثة اشكال يكون مؤاتياً لعالمه ، وما كان الله ثلاثة كما يظن البعض . وقد قال البعض ان الله كي يظهر ذاته للناس اتخذ لمدة شكل انسان ، وعندما انتهى من هذا العمل عاد فانسحب واصبح واحداً بدون انقسام ، كما كان منذ البداية . وتشبه هذه الفكرة فكرة التناسخ التي ينادي بها الهنود .

وفعلاً فالهنود يدعون ان الاله ڤشنا قــد تجسّد عشر مرات في هذا العــالم – اما بشكل انسان او حيوان ، ولكنهم لا يعتقدون ان هذا الاله اصبح انساناً لكي يبقى دائماً في شكل الانسان . فانه اذا اتخذ شكل الانسان لمدة ، ومن ثم ترك ذلك الشكل ، شبيه بما نعمله نحن بثيابنا القديمة عندما نطرحها جانباً بعد استعمالها . ولكن ليس هذه هي الحقيقة عن ابن الله ، لاننا كمسيحيين نؤمن ان « يسوع المسيح هو هو امساً واليوم والى الابد » .

(عبرانيين ١٣ : ١)

*

اجل يعتقد المسيحيون ان المسيح اذا عاد الى العالم غير المنظور فانه يحمل معه ناسوته ولاهوته . وان هذا المسيح الذي سنلتقي به يوماً ما هو واحد . فهو انسان يحمل الاختبــارات التي كانت له عندما عاش كانسان في دنيــانا متحملاً آلامه وجروحه ، وظاهراً بمجده وسنائه وقد يتعذر علينا ان نفهم مثل هذا لان هذه الفكرة

قد تكون اصعب على ادراكنا من قولنا ان المسيح كان مع الله قبل وجود العالم ولكن ان كان هذا غير صحيح فلمن تتوجه بصلواتنا ساعة نرفعها بواسطة ربنا يسوع المسيح ؟!

ثالوث المحبة والقوة

وسؤالنا الان هل من المهم ان نحاول الحصول على افكار صعبة مثل هذه ؟! ويأتينا الجواب بالايجاب ... لاسباب لا يصعب علينا ان نراها قد خصصنا فصلاً كاملاً في هذا الكتاب للتأمل في تلك العقيدة التي تنص بان الله محبة . ولا بدّ من التساؤل ان عاجلاً او آجلاً ومن احبه الله قبل ان يوجد هذا العالم ؟! وحقاً فان هذا السؤال يستدعي انتباهنا ويتطلب جواباً منا ....

فالذين يفكرون بان الله يظهر نفسه كثلاثة في واحد — ولكنه في الحقيقة هو ليس ثلاثة في واحد — لا بدّ لهم من ان يدركوا ان العالم ابدي ، كما ان الله ابدي ، ولذلك فلا معنى لسؤال ذلك الفريق من الناس : من احبّه الله قبل وجود العالم ؟ وظن اخرون ان العالم ضروري لله مثلما كان الله ضرورياً للعالم ومعنى هذا ان الله ينمو ويستمر في نموه ، ليصل الى شيء لم يصله بعد ، وهذه الفكرة عن الله الكامل هي ايضاً غير صحيحة .

ولا غرابة فالكون بكليته انما يعتمد على الله ، ولا يستطيع هذا الكون ان يوجد دقيقة واحدة بدون ارادة الله وعنايته ، واذا

كان الله لم يصنع هذا العالم فلا ينفي هذا وجود الله . وكذلك اذا توارى عالمنا من الوجود بين عشية وضحاها فهل ينفي هذا ايضاً وجود الله ؟! ان الله هو الله مهما كانت الاحوال ، وهو الذي صنع عـالمه ، وهو يحب هذا العـالم ويقف في صعيد اعلى منه .

وحاول اخرون ان يجيبوا على هذا السؤال بقولهم انه قبـل ان يوجد العالم كان الله يسكن في عالم النور والسعادة وانـه كان يحب ذاته . ولا شك ان محبة الذات لها قيمة بيـد ان الوصية السماوية تدعونا لان نحب قريبنا كانفسنا . والمحبـة التي تحدثنا عنهـا في هذا الكتاب معناها اعطاء انفسنا للآخرين ، والخروج من ذواتنا الى محبة اناس نحبهم هم خارجون عنـا . وعندما يكون الحب كاملاً فلا بدّ من ان يقابلنا ذلك المحب بنفس العطية وبنفس الاسلوب .

واذا اخذنا بعقيدة الثالوث فلا تعود ثمة صعوبة للاجابة على مثل هذا السؤال . فنحن نرى ان الله منذ الازل احب الابن ، وكان الابن بدوره محبوباً منه . وقد وضح لنا معنى المحبة توضيحاً كاملاً الفيلسوف المسيحي القديس اوغسطين . فقد قال انـه لا بدّ من ان تتوفر ثلاثة معاني عنـد التحدث عن المحبة . فهناك اولاً شخص يُحِب ... وثانياً شخص يُحَب ... وثالثـاً وجود الحب الذي يربط الاثنين معاً ... وبمحاولته تفسير المحبـة على

ضوء هذه الاساليب الثلاثـة تتوضح لنا معنى عقيدة الثالوث . فالاب منذ الازل هو مصدر كل محبـة ، والابن منذ الازل هو المحبوب الاول ، والروح القدس هو رباط المحبة الذي يجعل الاب والابن واحداً ...

ويحملنـا تفسير اوغسطين لفهم ماذا يعني بكلمة الله وان كان هذا الايضاح كباقي الايضاحات البشرية ، بعيداً عن درجة الكمال فيا هم الاغريق تحدثوا عن ثلاثة اشخاص ، واله واحد ، ولكن تفسير القديس اوغسطين يظهر الروح القدس بمظهر المحبة التي تربط الاب بالابن على صعيد ادنى من كونه شخصاً ، ومن اجل ذلك يترتب علينـا الاسترسال في فكرتـه لتفهمها فهماً اوفى ...

فقد يتمتع الزوجان المحبان باسمى الوان السعادة بيد انه ساعة يولد لهما الولد الاول تنفتح امامهما افاق محبة جديدة فقد كان حبهما قبلاً يقتصر على بعضهما البعض ، ولكنهما الان بمحبتهما لولدهما يجدان انفسهما منقادين لمحبة شخص ثالث ، والى تذوق فرح جديد ومحبة عميقة لم يعهداها من قبل . وحاشا لنـا ان نتصور حياة الله تشبه حياة عائلة بشرية انما تفهمنا للحب البشري قد يساعدنا على تفهم شيء عن محبة الله الكاملة .

ولنعد الى منطوق العقيدة القائلة ان الله ثلاثـة اشخاص في

اله واحد . وسؤالنا ما هو الشخص ؟ اليس هو ذاك الذي نعرفه والذي عن طريقه نعرف انه يحبنا واننا نحبه ... ويخيل الينا ان كثيرين من المسيحيين يجدون صعوبة للتفكير بالاب والابن والروح القدس كشخص . ولا تبرز هذه الصعوبة في شخص المسيح لاننا نعرفه ونحبه وقد اختبرناه من عيشته التي عاشها على ارضنا ، بيد ان الله في نظر الكثيرين هو قوة عظيمة علينا ان نرهبها ونخشاها ، وكذلك فالروح القدس هو قوة غير شخصية لذلك ترتب علينا ان نمتدّ بافكارنا الى ما هو ابعد من هذا ...

وكلمات المسيح عن الآب السماوي كانت ذات اهمية كبيرة . فنحن مدينون لابينا الارضي بوجودنا ، ومحبته لنا تظهر في عنايته بنا ، وارشاده لنا وتوجيهنا وتقويم اعوجاجنا ، ومن اجل ذلك ترتب علينا ان نظهر محبتنا له بطاعته وبالتعاون معه . وتصدق هذه الامور ايضاً على الله ابينا السماوي ، بيد انها لا تصدق الا اذا تصورنا الله شخصاً يبادلنا الحب كاشخاص ، ونحن بدورنا نحبه كشخص .

ولا بدّ ان يكون كل منا قد تأثر تأثيراً كثيراً من بعض الجماعات الذين عاشرهم سواء اكانوا والدين ام معلمين ام اصدقاء . وماذا نعني بالتأثير اليس هو عمل شخص بحيث ان ذلك الذي أثّر علينا اصبح جزءا من حياتنا ، لانه كان يعمل في داخلنا

ليغيّرنا ويساعدنا لنكون مشابهين لما نريد ان نكون . واذا كان الروح القدس يعمل فينا ، ويغيّر حالنا لنشابه يسوع فادينا ، فما ذلك الا لانه شخص يحبنا ، ونحن نستعين به ليساعدنا عندما نكون ضعفاء ليعطينا من نوره ، وليقودنا وسط ظلمات حياتنا .

سرّ الالوهية او الثالوث الاقدس

وتواجهنا صعوبة اخرى وهي هل نستطيع ان نعرف الهاً هو دائماً واحد ، ولكنه في الوقت ذاته ثلاثة . فنحبه كواحد ونحب اشخاصه الثلاثة في الوقت ذاته ؟! وحقاً انه يتعذر علينا فهم مثل هذا الاله فهماً تاماً بيد ان قولنا اننا لا نستطيع ان نعرفه تاماً يبرّر قولنا اننا لا نستطيع ان نعرفه بالكلية .

ولنتأمل قليلاً في علاقاتنا ببعض الحيوانات الاليفة التي نقتنيها ، فنحن نحبها وهي تحبنا ، وهي تفهمنا وتشاركنا افراحنا واحزاننا لدرجة محدودة يتمشى مع مداركها ، بيد ان هذه الحيوانات غير الناطقة وغير العاقلة لا تستطيع ان تشاطرنا خططنا وبرامج حياتنا ، او طرق عبادتنا . وانا نجد ان حياتنا تتلاقى مع حياتها في بعض الامور لا كلها – وليس هذا بالامر الغريب لا سيما اذا تذكرنا ذلك التفاوت في سلّم الرقي الموجود بين الكائنات .

فهناك اولاً : ما ليس فيه حياة ...
وثانياً : من له حياة ولا يتحرك ...
وثالثاً : من له حياة ويتحرك ...
ورابعاً : من كان له حياة وحركة وذكاء ...
وخامساً : من كان له حياة وحركة وذكاء وروح .

وكلما ارتقى الكائن درجة في هذا السلم كان ما هو اعلى منه سراً لما هو ادنى . وهل عندذاك يكون عجيباً علينا ان يكون الله الازلي ، والغير المخلوق سراً لنا نحن الخلائق البشرية والغير ازلية ؟! ولكن حياته ستظل تحسن حياتنا ، وتجعلنا على صلة حقيقية معه .

*

واخيراً نجدنا امام هذا السؤال : وهل هذه العقيدة الصعبة لها اهمية عملية لنا كمسيحيين ؟! والجواب ان هذه العقيدة توضح لنا نوع الحياة التي دعينا اليها كمسيحيين . فعندما نؤمن ونعتمد فاننا نصبح على اتصال مع المسيح . اذ اننا عن طريق يسوع نصبح جزءاً من هذه الحياة الفياضة . وفي وسع حياتنا الارضية ان تعلمنا الكثير عن حياتنا الفائقة الطبيعية التي نحياها بالروح . فنحن حالما نولد نصبح جزءاً من عائلة . وهذه العائلة قد وجدت

قبل ان نولد فنحن لم نخلقها او نوجدها بل اننا نصبح جزءاً منها .

وفي جو العائلة نجد ثلاثة انواع من العلاقات :

اولاً : علاقة الوالد بولده .

وثانياً : علاقة الوالدين بالبنين — والبنين بوالديهم .

وثالثاً : علاقة الاولاد بعضهم ببعض .

ونحن عند ولادتنا لا نعرف شيئاً عن معنى هذه العائلة مع اننا نكون جزءاً منها ، بيد اننا مع الوقت نتعلم عنها وندرك كيف نمثّل دورنا فيها . ونحن لا نستطيع ان ندرك معنى العائلة كلّ الادراك لاننا لا نشارك اهلنا اختباراتهم قبل ان يولدوا ، ولسنا نصل الى نهاية لدى محاولتنا ان نتعلم كيف نمثل دورنا في هذه الحياة .

وهذه الامور تصبح حقيقية في حياة الايمان . فعندما نتعمّد بنعمة الله نصبح جزءاً من المسيح وندخل معه في صلة عائلة روحية يكون رأسها الله . واننا نجد في تلك العائلة علاقة ثلاثية اذ نحظى بصلة داخلية للثالوث الاقدس الكائن منذ الازل والذي لا نستطيع ادراكه تماماً . وهناك محبة الله لاولاده ، ومحبة الاولاد له . وهناك محبة اولاد الله بعضهم لبعض . وهذه العلاقة

العائلية موجودة قبل ان نأتي الى هذا الوجود ، وعند ولادتنـا ندخل في هذه الصلة التي هي موجودة .

ولدى دخولنا فيها نفهم الشيء القليل عنها ، لان ذلك يستدعي فهم معناها ، وكيف نعيش فيها ونحن لا نصل الى نهاية المطاف الا بعد ان نعيش في هذه الرابطة ونتعلم عنهـا ، وعن طريق الاختبار لا بدّ لنـا من ان نعرف اشياء قد يتعذر التعبير عنها بالكلام . واملنا انه بعد الموت نعرف اكثر بكثير مما عرفناه ونحن على قيد الحيـاة . ولنتحقق انه حتى في الابدية فنحن لا ننتهي من التعلم عن الله وعن محبته ...

الايمان المقرون بالعبادة والتكريم

لقد حاولنا في هذا الفصل ان نوضح معنى الايمان بالله الاب ، والابن ، والروح القدس . ولكن الايمـان لدى المسيحي ليس ايماناً ينبع من الفكر والعقل فقط ، بل عليه ان يقترن بالعبادة والتكريم . وربما كان احسن ما ننهي بـه هذا البحث هو التعبير عن ايماننا بالله الآب – والابن – والروح القدس هو استعادة كلمات الترنيمة الشهيرة التي ترجمت الى معظم لغات العالم والتي مطلعها بالانكليزية :

Holy, Holy, Holy, Lord God Almighty

والتي ظهرت ترجمتها الى العربية في كتاب الترنيم الجديد :

خالق الاكوان مالك الاقدار
لاسمك الاسمى تخرّ الارض والافلاك

او بكلمات الترنيمة

للواحد الرحمان الخالق الاكوان
تسبيحنا
للآب بارينا والابن فادينا
والروح محيينا نهدي الثناء



تتألف لجنة التأليف والترجمة والنشر

التابعة للمجلس المسيحي للشرق الادنى

والمعروفة .A. C. L. C من هيئات النشر التالية

١ ــ جمعية نشر المعارف المسيحية

S. P. C. K.

رقم ٣٦ شارع الجلاء – القاهرة

٢ ــ مطبعة النيل المسيحية

The Nile Mission Press

رقم ٨ شارع الالفي بك – القاهرة

٣ ــ لجنة النشر المشتركة

The Joint Committee

عمارة المرسلية الاميركية بالازبكية – القاهرة

٤ ــ مكتبة المشعل

Torch Library

بيروت ص . ب . ٢٣٥

سلسلة الكتب المسيحية

World Christian Books

وهي تبحث بالحياة المسيحية والايمان المسيحي وقد تبنتها لجنة التأليف والترجمة والنشر للمجلس المسيحي للشرق الادنى

A. C. L. C.

وهذه هي الكتب الخمسة التي ستصدر قريباً

١ — **الله في المسيحية** — للاسقف ستيفن نيل (جاهز)

٢ — **العطاء المسيحي** — للاسقف عزرايا (تحت الطبع)

٣ — **العلم والدين** — للكاهن شارلز ريفن

٤ — **دراسة الكتاب المقدس** — للقس نايلز

٥ — **المسيحي كمواطن** — للاستاذ جون بنت



رقم ١

من السلسلة التي تبنتها لجنة التـأليف والنشر للمجلس المسيحي للشرق الادنى

A. C. L. C.

طبع في المطبعة الاميركانية في بيروت سنة ١٩٥٥